



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي – الأغواط
كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي



مذكرة ماستر

الطالب (ة): خديجة بنحات

ميدان: اللغة والأدب العربي
شعبة: الدراسات الأدبية
تخصص: أدب حديث ومعاصر

التأريخ لأدب المغاربة والترجمة لأعلامه
في تراث الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري
(مقاربة تحليلية توثيقية)

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
ييز محمد قر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أبو بكر مرزوق	أستاذ محاضر – أ –	مشرفا ومقررا
أحمد الشايب ورنقي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية: 1439-1440 / 2018 – 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وعرفان

أحمد لله.. والشكر لله..

إلى كل أسرتي الصغيرة

إلى كل أسرتي الكبيرة

إلى جميع من عرفت في رحلتي الدراسية: أساتذة، وموظفين وإداريين،
وطلبت، وأصدقاء

إلى كل من أمدنا بيد المساعدة حتى يرى هذا البحث النور

شكر خاص وخالص لأستاذي المشرف (أبو بكر مرزوق) على كل
مساعدة ومشاركة

خديجة خات

الإهداء

إلى روح الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري

خديجة بخات

مقدمة

1- تمهيد:

تاريخ الأدب وسيلة مثلى للإلمام بمسيرة الأدب وسير الأدباء، ومعرفة الظروف التاريخية (السياسية والاجتماعية والفكرية) التي أثّرت فيه، إذا أمكن إدراكها من خلال الوثائق التاريخية التي تتناول العصر أو الشواهد الإبداعية التي تترجم حياة الأفراد والجماعات، من جهة، وتمثل خصائص ذلك العصر الذي وجد فيه فنيا وجماليا.

وإذا كان قد قدر لأدب المشاركة أن تؤرخ له الكتب وتوضع له الدراسات التاريخية والنقدية، بحكم نشأته الأولى، ونشاطه الممتد، وأن يغدو أدب المغاربة تابعا له بحكم التطور التاريخي، وارتباط المغاربة بالمشاركة أصلا، فإنه لا يمكن أنكار فضل أدب المغاربة الذي أحسن التأثير، وأحسن التأثير، لولا بعض تقصير الدارسين المشاركة في التعريف به وبأعلامه، لأسباب موضوعية، وأخرى ذاتية يحكمها الهوى أو الخلفيات الفكرية، خاصة إذا كان الكلام عن أدب الفترات المتأخرة، التي وقعت في براثن الاستعمار، وخضعت إلى عملية الاستلاب، والمسح والتشويه.

ومن هنا، كانت مهمة التعريف بالأدب المغربي موكلة لأبناء المغرب أنفسهم، وهو منطلق بحثنا، حيث نحاول أن نستقرئ هذا التراث المغربي من خلال علم من أعلام المغرب المحدثين، ونعني به الشيخ الإمام: محمد الخضر حسين الجزائري.

2- سبب اختيار الموضوع:

الموضوع - في الأصل - من اختيار الأستاذ المشرف، وهو حلقة من حلقات البحث في تراث هذا الإمام الجليل، ووجود موضوع جاهز، ومشرف مؤمن بموضوعه قد يغري الطالب المبتدئ بأن يخوض فيه باطمئنان، خاصة، وأن طبيعة الموضوع لا تبتعد عن طبيعة اختصاصنا (أدب حديث ومعاصر)، كما أن جانب التاريخ للأدب، ومعرفة سير الأدباء، هو جزء من عملية إدراك النصوص في جانبها السياقي التاريخي.

3- إشكالية الموضوع:

إنَّ الإشكالية التي يحددها البحث تكمن خلف فكرة العنوان، الذي يتناول التراث الأدبي الضخم الذي خلفه الشيخ (مُحَمَّد الخضر حسين)، والذي يتراوح بين التأريخ الأدبي، والترجمة الأدبية، واستقراء الظروف التاريخية التي أسهمت في نشأة التأريخ الأدبي عند الشيخ الخضر، ذلك أن الناظر لتراثه الأدبي يدرك أن هناك مادة مدونة، تناولت تاريخ أدب المغرب، قديمه وحديثه، وأنَّ هناك مادة مقابلة لها تقدم تراجم أدباء وعلماء مغاربة، قدماء ومحدثين، تصلح لأن تكون مجموعا مفيدا، ومادة معرفية تكون سندا حقيقيا لدراسة موضوعية قائمة بذاتها، يضطلع بها أهل الاهتمام وأصحاب الاختصاص، وهذا منطلق الأستاذ المشرف، وهدفه من هذه الدراسة الإحصائية الأولية.

4- أهداف البحث:

من خلال هذه الإشكالية، يمكن أن نقترح أهدافا في هذا البحث، يكون منها:

- محاولة الفهم الدقيق والموضوعي لطبيعة الصراع القديم الذي كان بين المشاركة المغاربة، وأدب المغاربة وأدب المشاركة، بما فيها بلاد الأندلس، وأدبها.
- تعرف المتلقي المشرقي إلى الأدب المغربي، بحكم أن الكثير من المشاركة يجهلون عنه الكثير، إذا استثنينا نخبة من الأدباء والنقاد نالوا شهرة عند المشاركة، وفرضوا أنفسهم إبداعا ونقدا.
- تعرف المتلقي المغاربي على تراث بلدان الشمال الإفريقي، والخروج من أسر النموذج التعليمي الذي يفرضه كل بلد مغربي على أبنائه، كأن يتعرف متلقي المغرب الأوسط (الجزائري)، ومتلقي المغرب الأقصى (المراكشي / المغربي)، على تراث المغرب الأدنى (التونسي)، من خلال ما قدمه الشيخ الخضر حسين - بحكم ميلاده ونشأته في تونس - من نماذج أدبية، وشخصيات أدبية عكست طبيعة الموروث الأدبي والنقدي المغاربي عامة، التونسي على وجه التخصيص.
- محاولة فهم وجهة نظرة هذا الشيخ الجليل لأدب المغاربة، وفهم خلفية منهجه في التأريخ للأدب المغاربي.

– دراسة هذه النصوص دراسة سياقية ونسقية، للوصول إلى خصائص أدب قد تكون وليدة هذا الإقليم الممتدّ، مما يعدّ إضافة لخصوصيات الشمال الإفريقي، على الرغم من الطابع الإنساني للأدب والفن.

– إعداد مجموع ترتّب فيه مادة التأريخ الأدبي وتراجم الأدباء – قديمهم وحديثهم – يصلح أن يكون برنامجا أو منهاجا تعليميا لطلبة الأدب المغاربة، والمشاركة، على حدّ سواء، وخاصة إذا كان بلغة الشيخ الخضر الراقية، الموضوعية.

5- خطة البحث:

يقتضي البحث – أيضا – خطة أولية، قابلة لأن تتبلور أثناء إنجاز البحث، أو بعد مناقشته من قبل أهل الاختصاص – ونقصد هنا اللجنة المناقشة الموقّرة – وهذه الخطة تقوم على: مدخل وفصلين، ينتهيان إلى خاتمة.

المدخل: وهو مدخل منهجي؛ يعرف بعملية التأريخ للأدب، وأسس الترجمة لأعلامه.

الفصل الأول: عنوانه (الشيخ الخضر: مؤرخا للأدب العربي المشرقي ومترجما لأعلامه)، ويقوم على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يتناول الشيخ الخضر، مؤرخا للأدب العربي المشرقي.

المبحث الثاني: يتناول الشيخ الخضر مترجما لأعلام الأدب العربي المشرقي.

الفصل الثاني: كان عنوانه (الخضر حسين مؤرخا ومترجما لأدب وأدباء المغرب)، ويقوم على مبحثين:

المبحث الأول: يتناول الخضر حسين مؤرخا لأدب الغرب الإسلامي

المبحث الثاني: تناول الخضر حسين مترجما لأعلام الغرب الإسلامي

الخاتمة: تستثمر فيها نتائج هذه القراءة.

6- منهج البحث:

إنَّ طبيعة البحث في هذا الموضوع قد تفرض منهجا قرائيا خاصا؛ يقوم على العرض التاريخي الوصفي، إلى جانب بعض الموازنة بين أدب المشاركة وأدب المغاربة، دون أن نتخلى عن منهج التحليل في جميع مراحل البحث. لذلك كان اجتماع العملية التأريخية والوصفية والتحليلية ضرورة هنا.

في نهاية المطاف، قد نشير في هذا المقام إلى الصعوبات التي تلقيناها أثناء إنجاز هذا البحث، وهو غياب النسخة الورقية لموسوعة أعمال الشيخ الخضر التي وصلت إلى خمسة عشر مجلدا، مضافا إليه مجلدات أخرى تكون قد طبعت أو هي تحت الطبع، من إنجاز ابن أخي الشيخ الخضر حسين، الأستاذ المحامي علي الرضا الحسيني، متعه الله بالصحة، وكان الاستناد على النسخة الالكترونية، التي لا تساعد - أبدا - على الاستغلال الجيد والأمثل لتراث الشيخ.

وفي الأخير لا بد من كلمة شكر واعترافا للأستاذ المشرف، الدكتور (أبو بكر مرزوق) على كل ما قدمه من مجهود حتى يشق هذا البحث طريقه، فقد كان عمله جزءا أساسيا في البحث، وتدخلاته واضحة جلية في الرسالة، لخصوصية هذه الرسالة، كونها تدخل في مشروعه الأستاذ الكبير حول شخصية الشيخ الخضر، وقد أراد الأستاذ أن يكون العمل جماعيا، تستغل فيه كل المذكرات والرسائل المنجزة (ليسانس وماستر)، أملا أن تمتد إلى رسائل الدكتوراه، فجازاه الله عنا خير الجزاء، ووفقه الله في مشروعه.

مدخل

إلى تاريخ الأدب والترجمة الأدبية

1- التأريخ للأدب:

1-1- مفهوم التأريخ:

تتناول عملية التأريخ نشاط الإنسان المادي والفكري، على أساس حركيته في بيئته، ذلك أن "لكل أمة - كما يرى جرجي زيدان - تاريخاً عاماً؛ يشمل النظر في كل أحوالها، وهذا التاريخ متفرّع إلى تاريخ سياسي، وآخر اقتصادي، وثالث أدبي أو علمي..¹، كما يمكن التأريخ - كما يرى طه حسين - لفروع النشاط البشري فرعاً فرعاً؛ فلأدب تاريخه، وللسياسة تاريخها، وللعلم والفن والمذاهب والآراء تواريخها"².

غير أن العرب القدامى نظروا إلى التأريخ - كما يبدو - على أساس أنه العلم الذي يعنى برصد حركة الإنسان، وأوجه نشاطه في زمن قد مضى، وهذا العلم (علم التاريخ)، "هو الذي صَنَّفُوا فيه أعمالهم عن الأمم والشُّعوب الماضية، وعن الملوك والمماليك والعهود والدُّول، أمّا الفهم الأول للتاريخ، فلعلّه وليد ذلك الوعي التاريخي الذي فرضته معطيات الواقع على المفكرين العرب المعاصرين"³.

1-2- تأريخ الأدب:

هناك تعريفان لعملية التأريخ الأدبي:

1-2-1- تعريف عام:

حيث يعرف جرجي زيدان تاريخ الأدب بأنه علم "... يبحث في تاريخ الأمة من حيث الأدب الأدب والعلم، والترجمة لمن أنتجه من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء، مستقرّاً ثمار عقولهم ومشاعرهم في ما قالوا من أدب، أو ألفوا من كتب، ومحاولة تحليل كيفية نشأة إنتاجهم، ووصف مظاهر تطوره"⁴.

¹ - حسين الواد: في تاريخ الأدب (مفاهيم ومناهج)، دار الفارس، عمان - الأردن، ط. 2، 1993، ص: 92.

² - المرجع نفسه، ص: 92.

³ - المرجع نفسه، ص: 93.

⁴ - حسين الواد: في تاريخ الأدب، ص: 102.

1-2-2- تعريف خاص:

حيث نعني به: "ذلك العلم الذي "يبحث عن أحوال اللُّغة وما أنتجته قرائح أبنائها من بليغ النّظم والنّثر في مختلف العصور، وما عرف لهما من أسباب الصُّعود والمهبوط والدُّثور، ويعنى بتأريخ النّابحين من أهل الكتابة واللُّسن ونقد مؤلفاتهم وبيان تأثير بعضهم في بعض بالفكرة والصناعة والأسلوب"¹.

1-3- وظيفة التأريخ الأدبي:

لقد أدرك مؤرخو الأدب ما لهذا التأريخ الأدبي من فوائد جمة، منها:

رصد الظواهر الأدبية التي هي ترجمان صادق لما جرى في بيئة هذا الأدب، بوصف الأديب - كما يقول علماء الاجتماع - ابن بيئته، ومرآته العاكسة، بحيث تغدو هذه الآثار الأدبية وثائق تاريخية تؤرخ للزمان والمكان، والإنسان الذي أنتجه.

القبض على القوانين الفنية والجمالية التي تحكم هذا الأدب، مما يمكن من قراءته ونقده على أسس موضوعية.

الترجمة لأهل الأدب من المبدعين والنبغاء والفلاسفة والحكماء، وتخليدهم في التاريخ.

استثمار جماليات ما ينتجه الإنسان عبر الزمان، باعتباره إرثاً قومياً، وإنسانياً

وضع أسس للنقد تستنبط عناصره من هذا الأدب المنتج، فيكون التأريخ الأدبي إسهاماً كبيراً في تطوير العملية النقدية للأدب.

1-4- اتجاهات التأريخ الأدبي في التراث العربي

وربما أخذ مؤرخو الأدب بالمفهوم الحديث للتاريخ، لكنهم قد يختلفون في فهمهم لطرق التأليف التاريخي، وتمثل فنياته، ونحن نرى اتجاهين متباينين بين مؤرخي الأدب أنفسهم.²

¹ - حسين الواد: في تاريخ الأدب، ص: 103، 104.

² - المرجع نفسه، ص: 93.

1-4-1- الاتجاه الأول:

اتجاه يعتمد الإخبار القصص، والنقل الأمين على القدامى، بعيداً عن التناول النقدي، وكأنّ هذا الاتجاه قد فهم من عملية التأريخ دلالاته اللغوية، وهو الالتزام الزمني - الخطّي - في رصد الظواهر الأدبية، والتأريخ إلى أصحاب هذه الظواهر، مثلما كان يسلكه جرجي زيدان والرافعي والزيات.. ولعل من نماذج هذا الفهم، قول الرافعي، متحدّثاً عن تاريخ الأدب الأندلسي: "وأما أولوية العلوم، فإنّ أقدم ما اشتغلوا بمدراسته من العلوم إنّما هو الفقه"، أو قول جرجي زيدان: "وَأوّل من كتب في المسرح "مارون النقّاش"¹.

أما ما ارتبط بالنظرة النقدية إلى هذه المرويات، فإنّ أصحاب هذا الاتجاه يسلمون أمرهم إلى عهدة القائل الأول، ناظرين إلى تراث العرب بعين التمجيد والإطراء، والاعتزاز، وقد يلتمسون للرواية التبرير الساذج في بعض الأحيان، كما هو الحال مع جرجي زيدان، والزيات، في مسألة تعليق العرب للأشعار المشهورة على أستار الكعبة، إذ يرى الأول أنّه لا "غربة في تعليقها، وتعظيمها، بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب، وتعظيمهم لأصحابه"²، ويرى الزيات أنّ "تعليق الصّحائف الخطيرة على الكعبة، كان سنّة الجاهلية، وبقي أثرها في الإسلام"³. وسمع إلى الرافعي، وهو يمجّد أدباء الأندلس، قائلاً: "وإنّ الواحد من هؤلاء ليكفي أن يكون فخر أمة، فكيف بهم مجتمعين في قرن من الزمن"⁴.

1-4-2- الاتجاه الثاني:

اتجاه ينظر بعين ناقدة إلى المرويات، ويعتمد مبدأ الشك في مصادرها، ويتحرى الثبوت عند تناول المعلومات، ويطالب بتبني المناهج العلمية، وهذا الاتجاه هو الذي أخذ به طه حسين، متأثراً

¹ - حسين الواد: في تاريخ الأدب، ص: 93.

² - المرجع نفسه، ص: 94.

³ - المرجع نفسه، ص: 94، 95.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 98.

بالمستشرقين الفرنسيين. يقول طه حسين - متحدّثاً عن الأدب العربي: " .. هو مصدر من أصدق مصادر التاريخ، إذا عرفنا كيف نقرؤه، ونفهمه، ونخضعه لمناهج البحث العلمي"¹.

ويشترط أصحاب هذا الاتجاه، إلى جانب ذلك، أن يتجرّد المؤرّخ من أهوائه وميوله عندما يستقبل الوثائق ويشعر في التّأليف، إذ التّاريخ في هذا الاتجاه وصف، والوصف يجب أن يكون مجرداً من الأفكار المسبقة والأهواء المقدّرة ومن البديهيّات².

وأن يتجاوز الوقائع في مظهرها الحدّثي إلى أسبابها وعللها، فيقوم بالتحليل العميق حتى يدرك الأسباب المكوّنة للوقائع ويتعرّف عليها، الذي حاول أن يطبقه طه حسين عند تأليف كتابه "في الأدب الجاهلي"³.

1-5- شخصية المؤرّخ الأدبي:

لا يتعدّد مؤرّخ الأدب عن مؤرّخ التاريخ، إذ كلاهما محترف متخصص في علم التاريخ، وعملية التّأريخ، مكثّف بجمع الأخبار، والمحافظة على الآثار، وكلاهما يقوم بعملية كتابة التاريخ، والدراسة الواعية الموضوعية للظواهر التاريخية العامة التي تصلح أن تقيّد وتحفظ. والمؤرّخ المحترف - في الأصل - حافظ، ومحافظ، ومتحفّظ⁴.

ولعلّ الصّفات الواجب توافرها في المؤرّخ، مهما كان اختصاص تأريخه في العلوم، أو الأدب أو الفنون:

أن يحب مهنته، ويصبر عليها، وويتحلّى بالأمانة في مهمته، والشجاعة في مواقفه، والإخلاص في عمله⁵.

¹ - المرجع نفسه، ص: 98.

² - حسين الواد: في تاريخ الأدب، ص: 99.

³ - المرجع نفسه، ص: 99.

⁴ - عبد الله العروى: مفهوم التّاريخ (الألفاظ والمذاهب)، الدّار البيضاء، بيروت - لبنان، ط. 4، 2005، ص: 43.

⁵ - محمّد حسن عثمان: منهج البحث التّاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط. 8، 1843، ص: 18.

أن يمتلك ثقافة المؤرخ، من حيث المكنة العلمية، والكفاءة المهنية، وسعة الأفق، وموسوعية المعرفة، ودقة الاختصاص، إلى جانب التمكن من ناصية اللغة التي ينقل بها، أو يعبر من خلالها، وهي أمور تقتضيان يكون موضوعيا، بعيد عن هوى النفس أو إملاءات الذات أو الغير¹.

أن يكون صاحب إحساس رفيع، وذوق سليم، وعاطفة نبيلة وخيال متقد ذكي².

أن يكون صاحب أمانة علمية في مجال اختصاصه، يحسن التعامل بها ومعها بحسب زواوية الرؤية أو من حيث طبيعة التناول فيما يتصور ويعتقد، أو فيما يرتبط بمصادر معارفه ومعلوماته، أو فيما يرتبط بأسلوبه وطريقة عرضه³.

أن يكون صاحب ملكة نقدية يتحرى بها الحقيقة أينما وجدت.

2- الترجمة للأعلام

1-2 علم التراجم:

يقصد بعلم التراجم هو ذلك العلم الذي يعني ببيان سير الأعلام، وذكر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم⁴. ولا شك أن علم التراجم علم مرتبط ارتباطاً قوياً بعلم التاريخ، بل إنها جزء أساسي من التاريخ. ولعل تسميته بعض المتقدمين لمصنفاً في علم الرجال بالتاريخ دليل على ذلك، ذلك أن هؤلاء صنفوا كتباً باسم التاريخ، وموضوعها التراجم والسير⁵.

لقد حاول دارسو أدب التراجم، إعطاء تعريف لهذا الفن، فكان المنطلق فيه، أنه البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، بالكشف عن مواهبه، وأسرار عبقريته، ضمن ظروف حياته التي عاشها

¹ - المرجع نفسه، ص: 19.

² - محمد حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص: 20.

³ - عواطف بنت محمد نواب: المدخل إلى علم التاريخ، العام الدراسي: 1433 / 1334 هـ، تاريخ الاطلاع عليها: 2019/02/19، ص: 11.

⁴ - إبراهيم بن حماد الرئيس: علم التراجم أهميته وفائدته، أطروحة دكتوراه، جامعة الملك سعود الرياض، 1422 / 1423 هـ، ص: 20.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 17، 18.

في عصره، والأحداث التي واجهها في مصره، والأثر الذي خلفه في جيله¹. ومن هنا، تبرز أهمية الترجمة للأشخاص، وتقصي بعض جوانب سيرتهم.

وليست الترجمة لأعلام الرجال، وتحري سيرهم، بالمهمة السهلة الميسرة عند الكاتب، وليست وليست النعوت المشتركة، أو كيل الألقاب المشاعة، التي يمكن أن يوسم بها كل شخص من أهل الشأن، أو العلم أو الأدب، على منزلة واحدة من الوصف عند هؤلاء، بل تقتضي من كاتب الترجمة - ومثله كاتب السيرة - أن يتمثل معاييرها، وقواعدها، وشروطها*.

2-2- معيارية التّراجم:

يضع المشتغلون بعلم التراجم وأدبها معياراً محدداً للترجمة للأعلام، والالتزام بجملته من العناصر الأساسية فيها.

فقد نص لسان الدين بن الخطيب في مقدمة كتابه: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، على أنّه يذكر الرجل، ونسبه، وأصلته، وحسبه، ومولده، وبلده، ومذهبه، وأنجاله، والفن الذي دعا إلى ذكره، ومشيوخه، إن كان ممن قيد علماً أو كتبه، ومآثره، إن كان ممن وصل الفضل بسببه، وشعره، إن كان شاعراً، وأدبه وتصانيفه، إن كان ممن ألف في فن، أو هذبه، ومحتته، إن كان ممن بزه الدهر شيئاً، أو سلبه، ثم وفاته ومنقلبه، إذا استرجع الله من منحه حياته ما وهبه².

غير أن كتب التراجم الحديثة والمعاصرة، بدأت تتخلى عن مثل هذه الطريقة التاريخية القديمة، وعن هذا الترتيب الموروث، فلم تعد الترجمة نقلاً لنصوص قديمة، أو جمعا لطائفة من المعارف في غير تبويب، أو تحليل أو تركيب، أو اختيار للمنهج الأنسب، أو انتقاء للغة الموالية، والأسلوب الأمثل³. بل أصبح تعريف أدب التراجم يجمع بين أمرين: التحري التاريخي، والإمتاع القصصي.

¹ - حسين فوزي النجار: التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، 1964، ص: 14.

* منتزع من محاضرات "الخطاب النثري في عصر الضعف"، أبو بكر مرزوق، طلبة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عمار ثليجي - الأغواط، 2019.

² - لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1973، 1: 87، 88.

³ - محمد عبد الغني حسن: التّراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط. 3، 1980، ص: 14.

ولا بدّ للترجمة أن تأخذ نصيبتها من عملية التحقيق العلمي، والبحث الموضوعي، ومعارضة الأحوال والأقوال - بعضها ببعض - حتى يتميّز الزائف من الصحيح، كما يجب أن تؤخذ أقوال الرواة بعين الاعتبار، لما قد يكون فيها من ميل للمترجم له، أو هوى معه أو تعصّب عليه¹.

إنّ من الشروط التي يلتزم بها مؤلف التراجم: القدرة على التعبير الصادق الأمين، والإعراب الموضوعي المسؤول عن هذه الحقائق من دون مبالغة أو تهويل، والاعتدال في الخوض في سيرة الأشخاص دونما إفراط أو تفريط، خاصة في مواقف الحجاج والنقد*.

2-3- طريقة الترجمة للأدباء:

قد يتفاوت مترجمو الأدب فيما بينهم ويختلفون في عرض تراجمهم، حسب ثقافة المؤلف، وطبيعة تخصصه العلمي والمعرفي، وطريقة الترجمة للأشخاص، في ما إذا كانت المترجم معاصراً للمترجم له، أو يأخذ معلوماته إخباراً ورواية، أو ينتزعها من الكتب والوثائق الخاصة.

على أنّ أهمّ مسألة قد تشغل المترجم هو أسلوب كتابة ترجمته، إذا عليه أن .. يضع في اعتباره، أنّ جمهوراً تختلف ثقافته، وآراؤه، وعلومه، وآدابه، سيقراً تراجمه، ولذا، فعليه أن يقدم التّراجم بأسلوب بسيط، وسهل، فلا تكون التّرجمة مليئة بالمصطلحات التي يصعب على أي قارئ فهمها واستيعابها، وإذا ما اضطرّ لاستخدام بعض هذه المصطلحات فعليه تفسيرها وشرحها، ومن جهة أخرى يجب أن لا تكون التّرجمة مطوّلة، وأن تقتصر على المعلومات الواضحة والمفيدة، ذلك أنّ النفوس تشربُ إلى النتائج دون المقدمات، وترتاح إلى العرض دون التّطويل في العبارات².

¹ - المرجع نفسه، ص: 16.

* منتزع من محاضرات "الخطاب النثري في عصر الضعف"، أبو بكر مرزوق، طلبة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عمار ثليجي - الأغواط، 2019.

² - داليا عبد الستار الحلوجي: كتب التّراجم في التراث العربي، زهراء الشّرق، مصر - القاهرة، ط.1، 2008، ص: 299.

الفصل الأول

الشيخ الخضر (مؤرخا للأدب العربي المشرقي، و مترجما لأعلامه)

المبحث الأول: الشيخ الخضر مؤرخا للمشاركة

المبحث الثاني: الشيخ الخضر مترجما للمشاركة

المبحث الأول

الشيخ الخضر مؤرخا للمشاركة

المبحث الأول: الشيخ الخضر مؤرخا للمشاركة

1- تمهيد:

مثلت كتابات الشيخ الخضر ومحاضراته، ومعاركه الأدبية، والفكرية شخصية الرجل خير تمثيل. إذ كان نموذجاً للعالم المتمكن من الاقناع، واستدعاء الحجة، كما كان نموذجاً للبحث العميق المتأني، والمنطق الدقيق الصائب، والأسلوب المشرق المقنع. وقد وصفه الداعية الإسلامي سعيد رمضان البوطي - رحمه الله - تحت عنوان "مُجد الخضر حسين عالم فذ ومجاهد من الرعييل الأول" بقوله:

".. يبدو أنه - رحمه الله - لم يكن ليشفى غلة نفسه أن يخدم الإسلام من الطريق التي يسلكها يسلكها معظم أمثاله من الشيوخ، والعلماء فقط، فشق أمامه كل طرق الفكر والفنون، وجندها كتلة واحدة مجتمعة لخدمة الإسلام، والعالم الإسلامي. فلقد خدم الإسلام أديبا لامعا، وجاهد في سبيله كاتباً مبدعا، وتصدى لنصرتة عالما من أفذاذ علماء التشريع وأصوله، وكان أروع قرين له في كل ذلك إخلاصه القوي الغريب"¹.

1-1- التاريخ للأدب الجاهلي:

1-1-1- (من خلال الرد على كتاب طه حسين)

لمع اسم (طه حسين) في الثلاثينيات، عندما أصدر كتابه "في الشعر الجاهلي"، عام (1927)، الذي حمل مجموعة من الآراء الخطيرة، المتعارضة مع أصول الاسلام ومفاهيمه، فأحدثت ضجة واسعة المدى على مستوى الجامعة المصرية، والأزهر الشريف، وصحافة العصر.

عرف الدكتور (طه حسين)، بمنهجه العلمي الصارم، القائم على مبدأ التشكيك، والشدة في تطبيقه، وكان صدور الكتاب فرصة سانحة لمهاجمة الرأي العام له، بعدما أثار قضايا من صميم الدين الدين والفكر والحضارة والثقافة. ولم يجد (طه حسين) عن منهجه، ولم يتخل عن أفكاره حتى

¹ - البوطي مُجد سعيد رمضان، من الفكر والقلب (فصول من النقد في العلوم والاجتماع، والأدب)، دار الفقيه للنشر والتوزيع، دمشق، 1997، ص: 311.

نهاية حياته، فكان في مواقفه نموذجاً للباحث الصارم المقتدي بكتاب الغرب، وبيع بعض المستشرقين، الذي اعتمدوا هذا الأسلوب، وهذا المنهج في قراءة تراث العرب الديني والفكري والأدبي.

1-1-1-1 كتاب "في الشعر الجاهلي":

أنج طه حسين إنتا جا غزيراً، عاد عليه بالنقد الشديد لما حمله من أفكار استشراقية يراها بعض المفكرين العرب هدامة، تنخر جسم الأمة العربية والإسلامية، وتعيد ما قام به المستشرقان (جرجس)، و(مارجليوث) تجاه تراث العرب والإسلام. وقد عدّ كتاب "في الشعر الجاهلي" من أخطر كتب التنوير التي ظهرت في القرن العشرين، حيث عرض فيه طه حسين نظريته في الشعر الجاهلي، متأثراً بآراء المستشرق (مارجليوث)، وبمقالته: "أصول الشعر العربي"، لدرجة أن النقاد نظروا إلى كتاب طه حسين، بوصفه نسخة مشوهة لمقالة هذا المستشرق، بل هي مجرد سطو على ما قاله (مارجليوث)، أو حاشية وتعليقاً على هذه المقالة¹، حتى إن بعض علماء الأزهر نعت هذا الكتاب - تهكماً - بأنه "حاشية طه حسين على متن مرجليوث"².

1-1-1-2 الرد على كتاب طه حسين:

كان الكتاب قد أثار ضجة كبيرة عند ظهوره، جعلت أعلاماً كثيرة تشرع في الرد عليه، ونقد منهجه، ونقض ما فيه، مما يقتضي معرفة أسباب هذه الثورة التي أرادها المؤلف من كتابه، والتي أنكرها عليه المجتمع، لا من خلال نظريته "في الشعر الجاهلي" فحسب، بل وأقواله المقننة التي لمس بها شعور الأمة المسلمة³.

وتفاوت هؤلاء الذي تصدوا لهذا الكتاب، ومهاجمة صاحبه بتفاوتت النقود، واختلاف الطرائق: فمنهم من كان معتدلاً ملتزماً بحدود الموضوع، ومنهم من نقد في أسلوب هادئ ولفظ عف، وغالى بعضهم؛ فاشتد، واشتط، وتجاوز الكتاب إلى صاحب الكتاب. ومنهم: مصطفى

¹ - محمود مجد شاعر: المتبني رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، دار المدني، جدة - السعودية (1987)، ص: 14.

² - أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين، دار النصر للطباعة الإسلامية، شبرا، مصر (د. ت)، ص: 166.

³ - ينظر: الخضر حسين: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان (د. ت)، ص: 19.

صادق الرافعي، وكتابه: "تحت راية القرآن"، والأستاذ الشيخ محمد الخضري، في "محاضرات في بيان بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب الشعر الجاهلي"، والدكتور محمد لطفي جمعة، جمعة، وكتابه: "الشهاب الراصد"، وكذلك محمد أحمد الغمراوي، وكتابه: "النقد التحليلي لكتاب لكتاب (في الأدب الجاهلي)"، ومحمود مهدي الاسطنبولي، وكتابه: "طه حسين في ميزان العلماء والأدباء"، وناصر الدين الأسدي، في كتابه: "مصادر الشعر الجاهلي". كل هؤلاء، وغيرهم، ممن وقف في وجه كتاب طه حسين. والذي يهمنا نحن، موقف الشيخ الخضر حسين وطريقة رده عليه

1-1-3- التأريخ للأدب الجاهلي:

يحمل تأريخ الشيخ الخضر حسين لأدب الجاهلي، والترجمة لبعض أعلامه خصوصية دقيقة ترتبط بظروف المناسبة التي ظهر فيها. فقد كتب الشيخ الخضر في الأدب الجاهلي بدافع الرد على الكتاب الخطير الذي ألفه الدكتور (طه حسين)، سنة 1927، وما خلفه من ردود كثيرة، تعلقت بالمرجعية الفكرية التي انطلق منها صاحبه، والمنهج العلمي الذي اعتمده في الإقناع والتأثير.

وليس هدفنا - في هذا المبحث - استعراض ما جاء في كتاب طه حسين "في الأدب الجاهلي"، ولا استعراض كتاب محمد الخضر حسين "نقض كتاب في الشعر الجاهلي"، ولا الوقوف على المنهج الذي سلكه الشيخ الخضر في نقده وتقويضه لمحتواه، وإنما نحاول أن نتبع بعض عناصره التي تعكس شخصية الخضر حسين، المشتغلة بالأدب ونقده، والتي يظهر من خلالها قارئاً جيداً لتاريخ العرب الأدبي، بصيراً بأصوله وتطورات، وخصائصه، مدركاً لأسسه الفكرية والفنية والجمالية.

ومن هنا، سنحاول - في هذا المبحث - رصد ما يتعلق بتاريخ الأدب، ما من شأنه أن يحدد وظيفة الشيخ الخضر حسين، بوصفه مؤرخاً للأدب حسب العنوان الذي وضعناه لهذا المبحث.

ولكي تكتمل صورة هذه العملية الاستقصائية في كتاب الخضر حسين، لا بد من الوقوف على قضايا كتاب طه حسين، أو الوقوف - على الأقل - على ما يمثل فكرة التأريخ الأدبي عندنا.

1-1-1-4 - من قضايا كتاب طه حسين:

إنّ القضايا التي أثارها كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" هي قضايا مرتبطة بالمنهج النقدي الذي طبقه على الأدب الجاهلي، وهو المنهج التشكيكي المستمد من النقد الديكارتى في الفلسفة الرياضية. يقول طه حسين في مقدمة كتابه، وهو يعرف بالمنهج الذي سيلتزمه أثناء تناوله لقضايا الشعر الجاهلي:

".. أريد أن أقول: إني سأسلك هذا الجو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة. أريد أن أضع هذا المنهج الفلسفي، الذي استحدثته ديكارت، للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث، والناس - جميعا - يعملون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي: أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل خلوا تاما، والناس جميعا يعلمون أن هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة، يوم ظهر، قد كان من أخصب المناهج، وأقواها، وأحسنها أثرا، وإنه قد جود العلم والفلسفة تجويدا، وإنه قد غير مذاهب الأدباء في أدبهم، والفنانين في فنونهم، وأنه هو الطابع الذي يتميز به العصر الحديث"¹.

وبعد التعريف بمنهج البحث، لا بد من حصر قضايا كتاب طه حسين، وهي، باعتبار الفهرسة، يقوم على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: يتناول الشعر الجاهلي وعلاقته بالقرآن، واللغة، واللهجات.
- الفصل الثاني: يتناول أسباب انتحال الشعر، وعلاقة الانتحال بالسياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة.
- الفصل الثالث: تناول الشعر والشعراء وركز على عدد منهم: امرئ القيس، وعبيد الأبرص، وعلقمة الفحل، وعمرو بن قميئة، والمهلهل، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد، والمتلمس.

¹ - طه حسين: في الشعر الجاهلي، الدار البيضاء، 2004، ص: 2 .

إن أبرز العناصر، وأخطرهما، في كتاب طه حسين، هي ما تعلق بتاريخ الشعر الجاهلي، في الفصل الأول، والتي يمكن حصرها في قضايا ثلاث:

- الشعر لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الاسلام؛
 - الشعر الجاهلي لا يصح أن يكون مرآة صادقة للحياة الجاهلية؛
 - القرآن لم يكن جديداً على العرب، وإنما كان حالة عادية.
- من خلال هذا الكتاب، تتحدد طريقة الشيخ الخضر في تناول هذه المسائل، التي لم يألفها الناس، وطريقة الرد الموضوعي على طه حسين، وعلى المستشرقين الذي يروج لأفكارهم . ولقد تحددت مصادر الشيخ الخضر في الرد على طه حسين عاكسة شخصيته الدينية والأدبية.

فقد استعان الشيخ الخضر بما كتبه مؤرخو الأدب من المستشرقون؛ وقابل هؤلاء المستشرقين بأندادهم من العرب، إلى جانب كثير من المصادر والمراجع التي لم يعلن عنها، ولم يكشف عن أصولها، أو عن أصحابها، لازدحام المادة العلمية في محفوظه، أو لاعتبارها من الشائع المشهور عند دارسي عصره.. وأما ما أعلن عنه في كتابه للكتب التي عاصرت طه حسين، مما أنتجه الغرب والعرب، فقد جاء من باب كشف تجاوزات طه حسين في كتابه، وفضح تشدقه، وكشف سرقاته، سرقاته، حينما ادعى قصب السبق لأفكاره¹.

1-1-1-5- طريقة الخضر في النقض:

أعلن الشيخ الخضر في مقدمة كتابه نقض كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين عن طريقته في النقد، وهي "النقض"، ولعل هذه الكلمة الدقيقة قد تتجاوز مصطلح النقد (العام)، وهو: متابعة الأثر الأدبي، متابعة محصنة، تجمع بين التقييم والتقويم، فتدرك من خلالها ما للنص من حسنات وسيئات، مع محاولة الإدلاء بالموقف النقدي (الفني)، إذا اقتضت الضرورة، بينما تقتصر عملية النقض، بالتقويض، والهدم، من الأساس، مع إمكانية البناء على الشيء المقوض².

¹ - ينظر : يوسف البشير: استراتيجية الحجاج عند محمد الخضر حسين الجزائري (من خلال كتابه: نقض كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين)، رسالة ماستر، جامعة عمار ثلجي، 2016-2017.

² - المرجع نفسه، ص: 28.

كما اتبع الخضر خطة في التعامل مع الأبواب والفصول والفقرات، مبتدئاً بتلخيص ذلك الباب أو الفصل، أو الفقرة، حاصراً فكرتها، مبيناً الغرض العام منها، ثم يقف عند ما يريد معالجته، فيعمد إلى تقويضه ونقضه، مستخدماً أدواته الحجاجية المختلفة، موظفاً لغة يضاهي بها لغة المؤلف، في إيجائها، ودلالاتها، يبطل به سحر ما خلفه أسلوب طه حسين المرسل، في نفس المتلقي. وهو قبل هذا، يحدد منهجه القرائي، والغاية منه. يقول الخضر حسين في مقدمة كتابه:

".. ولقد ارتأيت ألا أنقد فقرة أو فقرات إلا بعد أن أنقلها بحروفها، وأحكيها كما صدرت من منشئها، وإن كان موضع البحث يتوقف على جمل سلفت، ولم نتعرض لمناقشتها، أتينا بها في تلخيص ضابط للمعنى الذي لا يتهياً فهم المناقشة إلا به، حتى يكون كتابنا هذا قائماً بنفسه، ويستقيم للقارئ أن يدخل في البحث، وهو على استبانة من أمره"¹.

والناظر لما ألفه الشيخ، محمد الخضر حسين من كتب تعتمد على النقد والمناقشة، تسير على هذا النهج وهذه المنهجية الدقيقة في النقد، مما يجعلها سمة نقدية عنده، أو آلية قرائية يتميز بها عن غيره، إذ يقول في مقدمة كتابه: نقض كتاب: الإسلام وأصول الحكم:

".. وطريقتنا في النقد: أن نضع في صدر كل باب ملخص ما تناوله المؤلف من أمهات المباحث، ثم نعود إلى ما نراه مستحقاً للمناقشة من دعوى، أو شبهة، فنحكي ألفاظها بعينها؛ لتكون هذه الصحف قائمة بنفسها، ويسهل على القارئ تحقيق البحث، وفهم ما تدور عليه المناقشة، ولو لم تكن بين يديه نسخة من هذا الكتاب المطروح على بساط النقد والمناظرة..²".

ولفهم صورة التأريخ الأدبي عند الشيخ الخضر نستعين بمقاطع من كتابه نقض كتاب في الشعر الجاهلي لطفه حسين، لعلها تقربنا من آلية قراءة النصوص والرد عليها.

¹ - الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي"، ص: 2.

² - الخضر حسين: نقض كتاب: "الإسلام وأصول الحكم" من موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمع وضبط: على الرضا الحسيني، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، 2010، [9: 9، 10].

1-1-1-6- نموذج للتأريخ الأدبي للعصر الجاهلي:

(مرآة الحياة الجاهلية تلتمس في القرآن، لا في الشعر الجاهلي)

قال المؤلف (يقصد مُجد الخضر طه حسين)، في (ص:21): "و. والقرآن لا يمثل الأمة العربية متدينة مستنيرة فحسب، بل هو يعطينا منها صورة أخرى يدهش لها الذين تعودوا أن يعتمدوا على هذا الشعر الجاهلي في درس الحياة العربية قبل الإسلام، فهم يعتقدون أن العرب كانوا قبل الإسلام أمة معتزة تعيش في صحرائها، لا تعرف العالم الخارجي، ولا يعرفها العالم الخارجي..".

نقض الشيخ الخضر:

يرد الشيخ الخضر مباشرة بعد عرض الفقرة: "ادعى المؤلف - فيما سلف - أنه استنبط من القرآن شيئا خفي على القدماء، وهو أن للأمة العربية ديناً، وفيها طبقة مستنيرة، وادعى في هذا الموضوع: أنه انتزع من القرآن صورة أخرى، ووصفها بأنها ستدهش الذين تعودوا أن يعتمدوا على هذا الشعر الجاهلي في درس الحياة الجاهلية، وسيعرض هذه الصورة المدهشة في قوله: إن العرب قبل الإسلام أصحاب سياسة متمثلة بالسياسة العامة، متأثرة بها، مؤثرة فيها.

ابتدأ في تقرير هذه النظرية بدعوى أن الذين تعودوا أن يعتمدوا على الشعر الجاهلي، يعتقدون أن العرب في جاهليتهم كانوا في عزلة وانقطاع عن العالم الخارجي، لا يسمعون عنه خبراً، ولا يعرف لهم شأناً.

وهل يصدق أحد أن من يدرسون الشعر الجاهلي يتصورون العرب أمة معتزة في صحراء من الأرض، لا تعرف عما وراء حدودها من أحوال الأمم شيئاً؟ ومن أين يأتيهم هذا التصور، وهم يجدون في هذا الشعر الجاهلي والأخبار المتصلة به ما يحدثهم بأن من الشعراء - وهم زعماء القبائل - من كانوا يسافرون إلى الشام، وإلى اليمن، بل إلى فارس، وإلى القسطنطينية، تجد هذا في شعر عمرو بن كلثوم، وامرئ القيس، وأمّية بن أبي الصلت، والأعشى ميمون بن قيس.

هم يعرفون أشياء تبرئهم من أن يتصوروا العرب أمة ملقاة في فلاة من الأرض، ألم يدرسوا قول عمرو بن كلثوم :

وكأس قد شربت بعبلك وأخرى في دمشق وقاصرينا

أو لم يدرسوا قول امرئ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عيناك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

أو لم يقرؤوا أن أبا الصلت، أو أمية بن أبي الصلت رحل إلى سيف ابن ذي يزن ليهنئه بالانتصار على الحبشة، وأنشد بين يديه قصيدته التي يقول فيها :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا في رأس غمدان داراً منك محاللا

وقال فيها :

من مثل كسرى وسابور الجنود له أو مثل هرمز يوم الجيش إذ صالا

بلى! وقرؤوا أن الأعشى كان «يفد على ملوك فارس، ولذلك كثرت الفارسية في شعره. وقرؤوا أن النعمان بن المنذر وفد على كسرى بطائفة من فصحاء العرب: أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة، والحارث بن عباد البكري، وعمرو بن الشريد، وخالد بن جعفر، وعلقمة بن علاثة، وقيس ابن مسعود، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن معدي كرب، والحارث بن ظالم. وقرؤوا أن قابوس بن المنذر الأكبر بعث إلى كسرى بن هرمز بعدي ابن زيد وإخوته، فكانوا في كتابه يترجمون.

وإذا كان هذا الشعر والأخبار المتصلة به من قبيل المصطنع في نظر المؤلف، فذلك بحث آخر لا يعنيه المؤلف في هذا المقام، فهم على أي حال لا يتصورون العرب في ذلك الانقطاع البعيد كما

يدّعي عليهم، ولا يستطيعون أن يتصوروهم في هذا الاتصال الشديد الذي يحاول تخيله إلى قراء كتابه"¹.

2-1- التأريخ للعصر الإسلامي:

1-2-1- (الشعر الإسلامي أرقى من الشعر الجاهلي)

1-1-2-1- نموذج للتأريخ الأدبي لعصر النبوة

قال المؤلف في (ص21) : ".. وهم يبنون على هذا قضايا ونظريات، فهم يقولون: إن الشعر الجاهلي لم يتأثر بهذه المؤثرات الخارجية التي أثرت في الشعر الإسلامي، لم يتأثر بحضارة الفرس والروم، وأنى له ذلك؟! لقد كان يقال في صحراء لا صلة بينها وبين الأمم المتحضرة..".

نقض الشيخ الخضر:

يرد الشيخ الخضر: "كأن المؤلف ينكر أن يكون الشعر في الإسلام أرقى من الشعر زمن الجاهلية، ويحاول جحود المزية التي امتاز بها شعر الإسلاميين؛ من كثرة إبداع المعاني، والذهاب في الخيال إلى ما تنجذب له الألباب سحرا، وتحقق به الأفئدة طربا، تلك المزية التي أحرزها الشعر الإسلامي لأسباب من أشدها أثرا هذه المدنية التي انقلب إليها العرب بفضل أدب الإسلام، واختلاطهم بالأمم، وشهود الحواضر حيث يرحلون وحيث يقيمون.

وقد كتب علماء الأدب في وجوه ارتقاء الشعر وأسباب إحكامه وإبداعه، فأجادوا النظر، وأمتعوا البحث. وإليك صفوة ما كتبوا؛ حتى يستبين لك الفصل بين الشعر الجاهلي، والشعر الذي أنشئ في الإسلام.

يهيئ الناشئ إلى إجادة النظم أن يعيش في بقعة جيدة الهواء، أنيقة المناظر، وأن يشب بين قوم انتبذوا في الفصاحة مكانا قصيا، «فقلما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة، ولا في الألفاظ من لم ينشأ بين أمة فصيحة».

ثم هو لا يبرع في هذه الصناعة إلا أن تكون له قوة حافظة، وقوة مائزة، وقوة صانعة.

¹ - الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي"، ص: 56-58

بالحافطة القوية يجد في نفسه صورا كثيرة منتظمة واضحة، فيتأتى له أن يتناول منها ما شاء بأقل ملاحظة؛ «فإن المنتظم الخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده، فإذا أراد أي حجر شاء، على أي مقدار شاء، عمد إلى الموضوع الذي يعلمه فيه، فأخذه منه ونظمه».

وبالقوة المائزة يتخير ما يلائم الغرض من تلك الصور والخيالات، أو من الألفاظ والأساليب. وبالقوة الصانعة يؤلف ما تخيره من الصور المناسبة والألفاظ اللائقة، حتى تجيء المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض، وتجيء الألفاظ والأساليب في وضاعة وأحسن تقويم.

تختلف طبقات الشعراء على قدر اختلاف حظوظهم في هذه المهيئات والأسباب، فمن رزق جميعها، كان بالمنزلة العليا، ومن قل نصيبه فيها، وجدته على قدر ما فاته منها، فإما في الوسط، وإما في الدرجة الدنيا.

وإذا كانت هذه أصول إبداع الشعر، وارتفاع شأن الشاعر، فلنعقد موازنة بين العرب في الجاهلية، والعرب بعد الإسلام.

لا نتحدث عن المناخ من حيث هواؤه ومناظره الطبيعية؛ فإن مناخ العرب في الجاهلية هو مناخهم بعد الإسلام، أو قريب منه، ولا نتحدث عن القوة الحافظة أو المائزة أو الصانعة، فتلك مزايا يتداولها الفريقان، فلا فضل فيها لجاهلي على إسلامي، ولا لإسلامي على جاهلي إلا أن يشاء الله.

وإنما نلقي النظر في هذه الموازنة على أمرين يتفاعل بهما شعر الأفراد والطبقات، وهما: غزارة مادة الفصاحة، وكثرة ما يقع عليه نظر الناشئ من الصور الغريبة.

إذا كان الشعراء يتفاضلون بما يملكون من مواد الفصاحة، فإن اللغة العربية أخذت بالإسلام هيئة غير هيئتها الأولى، واتسع نطاقها لأسباب شديدة الأثر، ومن هذه الأسباب ما تراه في القرآن من نظم رائع وأسلوب حكيم، فالقرآن نهج في إرشاده ومواعظه أساليب لا يعهد لها الفصحاء من قبل، وهذه حقيقة لا تستدعي إقامة شاهد، فقد أقر بها المؤلف نفسه في قوله: «إنما كان القرآن

جديدا في أسلوبه»، وممن خاض هذا البحث، ونبه على تأثير القرآن والحديث النبوي في رقي الشعر: العلامة ابن خلدون في «مقدمته»، فسدد النظر، وأصاب المرمى.

ومما يدخل في هذه الأسباب: أن اجتماع العرب على اختلاف قبائلهم في هيئة أمة واحدة، جعل اللغة الأدبية التي هي لغة قريش تقتبس من لغات القبائل الأخرى أكثر مما كانت تقتبسه قبل الإسلام، فالطفل الذي يشب في بيئة هذه اللغة بعد امتلائها بالألفاظ الأنيقة والأساليب الفائقة، يكون محفوا من موارد الفصاحة بأكثر مما يتلقنه الطفل النابت في الجاهلية حيث لم يتسع نطاق اللغة إلى هذه الغاية القصوى.

وإذا كان الشعراء يتفاضلون بمقدار ما يرتسم في نفوسهم من الصور الغريبة، فإن العرب دخلوا بالإسلام في مدينة زاخرة وحضارة منتظمة، ولا يستطع أحد السبيل إلى دعوى أن اختلاطهم بالأمم، وشهودهم الحواضر بعد الإسلام كحالهما زمن الجاهلية إلا أن يكون معتزلا الأدب والتاريخ، هو لا يعرفهما، وهما لا يعرفانه.

وإذا كان في شعراء الجاهلية من سافر إلى بعض الحواضر، واتصل بالأمم الأخرى، فذلك لا يجعله بمنزلة الناشئ في مدينة منتظمة؛ إذ الصور الغريبة التي تقع إلى حافظة الناشئ في حضارة ونظام تكون أكثر وأوضح وأبقى¹.

3-1- التاريخ لأدب عصر الضعف:

1-3-1- (الشعر المصري في عهد الدولة الأيوبية²)

1-1-3-1- انموذج لأدب العصر المملوكي:

"في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع صار أمر مصر إلى العبيدين وكان المعز مؤسس دولتهم معدودا في طبقة الأدباء، وكذلك ابنه تميم الملقب بالعزیز، ونرى أن التاريخ: أن يعقوب بن

¹ - الخضر حسين: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ص: 58-61.

² - محمد الخضر حسين: الخيال في الشعر العربي، ضمن: الأعمال الكاملة للإمام، جمع وضبط: الحامي علي الرضا الحسيني، دار الثور، سوريا - لبنان - الكويت، 1431هـ/2010م، 7: 119.

كلس وزير العزيز كان له مجلس يحضره العلماء فإذا فرغ من هذا المجلس أقام الشعراء ينشدونه ما انتجته قرائهم من الشعر ويقال:

أَنَّ الوزير قد رثاه حين توفي نحو مائة شاعر، ويمرُّ بنا التاريخ بعد هذا على رجال كان لهم في الأدب أقدام راسخة مثل: أحمد بن علي المعروف بابن خيران. ومن شعره قوله:

ولو سعى بك عندي في الذِّكرى طبف الخيال، لبعث النوم بالسَّهر

وما زال الأدب موصول الحلقات إلى أن جاء القرن السادس، فظهر مثل محمد بن قادوس شيخ القاضي الفاضل، وأيضا الحسن بن علي الأسواني المعروف بالمهذب الزُّبيرين، وقال عليه العماد الأصفهاني لم يكن بمصر في زمنه أشعر منه¹، ومن شعره قوله: يتشوق إلى نهر بردى، في دمشق

ل، إذا اشتملت الروح بردا	بالله يا ربيح الشـ
مى ما اغتدى للند نداء	وحملت من نشر الحزا
ن، إذا اعتنقن هوى ووردا	ونسجت ما بين الغصو
أعطافها قدا، فقدا	وهزت عند الصبح من
سو متته الأزهار غمدا	نهر كنصل السيف تكـ
م بمهرن، فليس يصدا	سقلته أنفاس النسيـ

وظهر في ذلك العهد شاعرات مجيدات منهن تقيّة بنت غيث الصورية الإسكندرية. نظمت هذه الشاعرة مرة قصيدة، تعرضت فيها على عادة الشعراء - لمعان من قبيل اللهو، فظن بعض من قرأ القصيدة أنّها وصفت ذلك اللهو، لحضورها بعض مجالسه، فنظمت قصيدة وصفت فيها الحرب، وما يتصل بها أحسن وصف، وبعثت إلى من ظن بها ذلك الظن، تقول له: علمي بهذا كعلمي بذاك، تعني: أن الشاعر يصف ما لا يرى، ويقول ما لا يفعل.

وممن شدَّ أزر الحركة الأدبية لذلك في العهد طلائع بن رزيك الملقَّب بالصالح، ومن شعره:

¹ - مُجَدِّد الخضر حسين: الخيال في الشعر العربي ، 7: 119، 120.

تنام ومقلّة الحدثان يقظى
وما ناب النّوائب عنك نابي .
وكيف بقاء عمرك ، وهو كنز
وقد أنفقت منه بلا حساب

ولحسن تقديره للأدب العربي، قصده الشُّعراء من أقصى البلاد، وفي أيامه دخل عمارة اليميني مصر، ولقي منه، ومن ابنه العادل إقبالا ورعاية، وعمارة هذا هو الذي يقول:

ولا تحتقر كيد الضعيف فرّما
تموت الأفاعي من سموم العقارب

وموجز القول: إنّ من طالع كتاب "الخريدة"، للعماد الأصفهاني، وغيرها من كتب الأدب، وجد في شعراء النصف الأول من القرن السادس كثرة، ووجد في شعرهم إجادة وإبداعا..

وأريد من الشعر المصري في عهد الدولة الأيوبية: شعر من نشأوا في هذا العهد أو قضا فيه جانبا من حياتهم الأدبية، وإذا تحدّثت عن شعراء مصر في هذا العهد، فإنّما أتحدّث عنّ نشأوا في مصر نشأتهم الأدبية، ولا أبالي بعد هذا أن تكون ولادته في أرضها، أو في أرض غيرها، ولا أبالي — أيضا — بأن يكونوا قد أقاموا فيها طول حياتهم، أم يكونوا قد هاجروها إلى قطر آخر، واتّخذوه وطنا.

تولّى صلاح الدين الأيوبي أمر مصر، وكان من نواحي عظمتِه: الارتياح للأدب العربي، والاحتفاء بالأدباء البلغاء. ونقرأ في تاريخه أنّه كان يستحسن الأشعار الجيدة، ويردها في مجالسه، وكان مولعا بشعر أسامة بن منقذ، الذي دخل مصر في أيامه، ونال مكانة سامية. وأذكر من شعر أسامة هذا، قوله:

وما أشكو تلّون أهل ودي
ولو أجدت شكيتهم شكوت
إذا أدمت قوارصهم فؤادي
كظمت على أذاهم، وانطويت
ورحت عليهم طلق الحيا
كأني ما سمعت، وما رأيت

ولارتياح صلاح الدين للشعر العربي، ونظره إليه نظر من يقدر قيمته، قوي التنافس في هذا الفن، واشتدّ اتصال الأدب في غير مصر بالأدب المصري، فإنّ كثيرا من أدباء الأقطار يفدون على صلاح الدين، أو يرسلونه بقصائدهم، مثل: التلعفري، وابن الساعاتي، ومحمد بن يوسف المعروف بان الشحنة الموصلي..

ومن أمراء الأسرة الأيوبية، بعد صلاح الدين الأيوبي، من يقول الجيد مثل: الأفضل بن صلاح الدين، والكامل بن العادل، وأخويه: الأشرف والمعظم..

نُحِض الشعر العربي في عهد الدولة الأيوبية نُحْضَةً راقيةً، واشتمل على أمثال: البهاء زهير، وابن الجزار، وابن سناء الملك، وابن مطروحن وابن الفارض، والبوصيري، وابن النبيه..

وكيف لا يرفع الأدب رأسه، وهو في ظلال دولة يقوم على المهَم من أمورها أمثال: العماد الأصفهاني، وعبد الرحيم البيساني الملقَّب بالقاضي؟

وسيما الشعر في ذلك العهد: رَقَّة الألفاظ، وقرب المعاني من أذهان قارئه وسامعيه. وممَّا أخذ بمجامع قلبي، لأبي الحسين الجزار، جمع بين السُّهولة والمتانة، أعني قوله:

هو ذا الركب ولي نفس مشوقه	فاحبس الركب عسى أقضي
فاض دمعي مذ رأى ربع الهوى	ولكم فاض، وقد شام بريقه
نفد اللؤلؤ من أدمعه	فغدا ينثر في الترب عقيقه
قم معي، واستوقف الركب، فأن	لم يقف، فاتركه يمضي في طريقه
فهي أرض، قلّما يلحقها	أمل، والركب لم أعدم لحوقه

كانت ميزة الشعر: السُّهولة والعدوبة، حتى إنّ بعضهم لا يبالي أن يورد في شعره عبارة تجري على ألسنة الجمهور، بعد أن يكسوها مسحة خفيفة من العربية الفصحى كقول ابن النّبيه:

قل لأحباب كسوني الأرقا مات صبري فلهم طول البقا

وللشعر الحماسي في ذلك الوقت باعث قوي، هو انتصار الدولة، وعزّة مكانتها، فإذا شعر الأديب بأنّه يعيش تحت سماء عزّة وكرامة، كان شعوره هذا من مهيئات البراعة في فن الحماسة، فإذا انضم إلى هذا كبر نفس الشاعر، رأيته يذهب في هذا الفن من فنون الشعر مذاهب بدیعة، وانظر إلى البهاء زهير، كيف يقول:

أهوى التذلل في الغرام، وإنّما يأبى صلاح الدين أن أتذللاً

ومن أبلغ ما وقع في الشعر من الحماسة قول بن سناء الملك:

سواي يهاب الدَّهر أو يرهَب
ولكنني لا أرهب الدَّهر إن سطا
توقد عزمي يترك الماء جَمرة
وأظمأ إن أبدى لي الماء منة
ولي قلم في أنملي، إن هزرتَه
وغيري يهوى أن يعيش مخلدا
ولا أحذر الموت الزُّؤام إذا غدا
وحلية حلمي تترك السيف مبردا
ولو كان في نهر المجرة مورا
فما ضرني أن لا أهز المهندا

أمَّا الحكم والأمثال، فكثيرا ما نجدُها في بعض مقطوعات أو في أثناء قصائد مطوَّلة، كقول
بن سناء الملك:

ومن يغرس المعروف يجني ثمارة
فعاجله ذكر وآخره أجر

وللتَّسبب في ذلك العهد جولة واسعة، وابتكر فيه بعض الشعراء طرقا يستبينها الأديب من
مطالعة دواوينهم، وقد أعجب الأديب الأندلسي ابن سعيد بطريقة البهاء زهير في هذا الفن من
الشعر. وسأله، عندما قدم مصر، أن يرشده إلى وجه سلوكها، فأشار عليه البهاء بأن يطالع ديواني
الحا جري، والتلعفري، ثم يراجع بعد ذلك، فغاب ابن سعيد عنه مدة أكثر فيها من مطالعة
الديوانين، ثم اجتمعا، وتذاكرا، وكان من البهاء أن أنشد شطرا من بيت، هو قوله:

"يا بان وادي الأجرع"

وقال لابن سعيد: أشتهي أت تكمله، فقال ابن سعيد:

"سقيت غيث الأدمع"

فقال البهاء زهير: حسن والله، ولكن الأقرب إلى هذا الطريق، أن تقول:

"هل ملت من طرب معي"

وترى في هذا العصر تنافسا شديداً بين الشعراء، حتى إنَّ الشاعر يدَّعي لنفسه شعرا آخر، وهو في قيد الحياة، وأسوق على هذا حادثتين:

إحدهما: نزاع وقع بين بن شمس الخلافة، وابن مطروح في بيت ادعى كل منهما أنه قائله، وبلغ بهما النزاع أن أقام كل منهما شاهداً على أن البيت له، والبيت هو:

وأقول: يا أخت الغزال ملاحه فتقول\ك لا عاش الغزال ولا

ثانيتهما: نزاع جرى بين ابن الخيمي وابن إسرائيل، تنازعا في القصيدة التي جاء فيها البيت المشهور¹:

يا بارقا بأعلي الرقمتين بدا لقد حكوت، ولكن فاتك الشنب

ثم إنَّ الشاعرين تراضيا على تحكيم ابن الفارض، فأمر كلا منهما أن ينظم قصيدة في وزنها، فذهبا، وأتياه، وأنشدها ما نظما، فحكم بها لابن الخيمي/ وقال لابن إسرائيل: "لقد حكوت، ولكن فاتك الشنب"

وكان الشعر المصري في ذلك العهد يصل إلى بلاد المغرب والأندلس على أيدي الرّاحلين من العلماء والأدباء. تقرأ عن التاريخ: أنَّ الكاتب ابن عبد ربّه الأندلسي، اجتمع في رحلته بابن سناء الملك، وأخذ عنه شيئا من شعره، ورواه بالمغرب، وكان للأدباء في ذلك العصر مجالس يتذاكرون فيها الأشعار، ومجامع يحتفلون فيها بمن يرد مصر من العلماء..

وكذلك كانت مصر تبسم في وجوه الأدباء منذ عهد قديم، وأذكر أنَّ الشّاعر المعروف بـ "كشاجم"، قد وردّها في القرن الرابع، وأقام بها مدّة، ثمَّ ارتحل عنها، فأخذها إليها شوق شديد، فلم يكن إلّا أن عاد إليها، واتخذها دار إقامة، وقال:

قد كان شوقي إلى مصر يؤرقني فلأن عدت وعادت مصر لي دارا

و لا يشتاقي الأديب إلى وطن إلّا أن يكون للأدب في ذلك الوطن نفاق، ولمقام الأديب فيه نباهة².

¹ - محمد الخضر حسين: الخيال في الشعر العربي، 7: 125، 126.

² - المصدر نفسه، 7: 119 - 128.

المبحث الثاني

الشيخ الخضر مترجما للمشاركة

المبحث الثاني: الشيخ الخضر مترجما للمشاركة

1- تمهيد:

أفرد طه حسين جزءا من كتابه لبعض الشعراء الجاهليين، يستأنس بأخبارهم وبإشعارهم، من أجل الترويج لمنهجه الديكارتى (التشكيكي)، وفي مدى مصداقية الشعر الجاهلي في الاحتكام إليه، أو الحكم عليه بالصدق المطلق. وكان من الشعراء المعول عليهم في مشروعه التشكيكي: امرؤ القيس، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة الفحل، والمهلhel، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد، والمتلمس¹.

كل هذه المحاور التي تناولها طه حسين بالتشكيك، ستجد من يرد عليها بموضوعية، وإنصاف، ووفق شروط المنهج الذي اعتمده المؤلف، وأخل بقواعده عند التطبيق، وهذا الرد الموضوعي العادل سيتكفل به عالم من علماء الدين، ونابعة من نوابغ العربية، امتلك أقوى أدوات النقد الموضوعي، وسيوظفها في الدفاع عن ثوابت الأمة، من خلال النظر في ما تم تشويهه من تاريخ أدب العرب، أو التطاول على خصوصيات تراثه الديني والأدبي، الذي يشهد لهم أهل الإنصاف بالواقعية، وصدق التعبير عن الواقع، ومعايشة أمينة لظروف العرب: الاجتماعية والسياسية والفكرية والنفسية، والحرص على أن يترجم الأدب - شعره ونثره -، كل ذلك ببراعة فنية، وحس جميل، فيكون رد الشيخ الخضر حسين - عندئذ - مدعاة إلى أن نكشف - من خلاله - هذه الخلفيات، وهذه المواقف الاستشراقية المدسوسة بمكر وخبث، في كثير من الأحيان، ونستكشف هذا النوع من النقاد المستغربين - وقد يكون طه حسين أحدهم - من الذين لا يدينون لتاريخهم وتراثهم بالولاء، فإذا بهم يزدرونه، ويبحثون عن بديل له. ومن هنا، سنحاول رصد ما يتعلق بوظيفة الباحث المترجم لشخصيات تراثنا الأدب، في ما تناثر في تراث الشيخ الخضر المتنوع، وفق ما يمليه عنوان هذا المبحث.

¹ - طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص: 137 - 192

2- أدب التراجم عند الشيخ الخضر حسين:

للشيخ الخضر كتب ترتبط بأدب التراجم والسير الدينية، منها كتابه: مُجَدِّدُ رَسُولِ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وهو في سيرته (ﷺ)، وكتاب "تراجم الرجال"، ويتناول شخصيات دينية إسلامية عبر تاريخنا الطويل، كما تصادف بعض التراجم الأخرى المرتبطة بطبقات العلماء والأدباء، منها تراجم نشرها ضمن كتابه: "تونس وجامع الزيتونة"، وأخرى متفرقة ضمن موسوعته التي جمعها ابن أخيه، المحامي علي الرضا الحسيني. ومن هنا، فقد تنوعت الشخصيات المترجم لها عند الشيخ الخضر حسين، بين: الترجمة للنبي الكريم (السيرة العطرة)، والترجمة للخلفاء الراشدين، والقادة، وأئمة آل البيت، والمحدثين، والفقهاء، والعلماء، والمتصوفة، والمفكرين، والأدباء.

والذي نسعى إليه في هذا المبحث هو رصد ما جاء من تراجم للأدباء والعلماء الأدباء لا غير مما يدخل في باب تاريخ الأدب والتراجم الأدبية¹.

3- منهج الشيخ الخضر في تراجمه:

إنَّ المتأمل لتراجم الشيخ الخضر، يدرك أنَّ جُلَّها يرتبط بشخصيات دينية، وإنَّ الترجمة للشخصية الدينية لا تقوم على الترجمة الذاتية الحرة، ذلك أنَّ من يرتبط بجانب من جوانب الدين لا يمكن أن يعامل معاملة الإنسان العادي، أو معاملة الشخصية التي تمثل فكراً، أو أدباً أو فناً، ستمته الحرية والتحرر.

لقد ظهر عند العرب المسلمين علم قائم بذاته هو "علم التراجم"، له علاقة مباشرة بالتشريع الإسلامي، حيث يدخل في علم "الجرح والتعديل". ولقد .. اهتم المسلمون به اهتماماً كبيراً، وبدأت العناية به بعد عهد الرسول (ﷺ) بزمان يسير، حيث حرص العلماء على حماية وصيانة حماية وصيانة المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، وهو الحديث النبوي، وحرصوا على صيانتها من الكذب والتزوير، والغش والتلفيق والدس. فنشأ هذا العلم كقاعدة في تلقي الأخبار عن

¹ - ينظر الموسوعة: 15: 50

الناس، وبالأخص: فيما يتعلق بالحديث النبوي أولا، ومن ثم، الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وباقي طبقات العلماء خصوصا، والناس عموما"¹.

وقد أوضح الشيخ الخضر مقاصده من هذه التراجم الدينية، منها ما يرمي إلى تعريف الشباب الشباب المسلم بعظمة رجاله، يقول في مقدمة ترجمته لمحمد الباقر وسيرته: "في سيرة العظماء عبرة لمن يريد أن يكون عظيما في علمه، أو في شرفه، وسمو همته أو في المسارعة إلى عمل الخير ما استطاع"².

وعند ترجمته للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، قال الشيخ الخضر: "إن من الأسباب التي جعلت كثيرا من شبابنا يسرفون في إكبار رجال أوربا، ولا يرفعون رؤوسهم فخرا بعظماء الشرق: الشرق: أنهم لم يدرسوا تاريخ علمائنا بعناية وروية وإنصاف"³.

لقد سار الشيخ الخضر في تراجمه على طريقة المترجمين القدامى، حين ينطلقون في تناول المترجم له من حيث: الاسم والنسب والمولد والنشأة والدراسة وذكر شيوخه والعلم الذي نبغ فيه وتلامذته ومؤلفاته ومكانته العلمية وآراء العلماء فيه ثم ينتهي بذكر وفاته وظروفها.

والشيء الملفت عند الشيخ الخضر هو براعته في عرض تراجمه وجودة التصرف في المعلومة، إلى جانب حسن الصياغة اللغوية التي تتوقف على طبيعة المترجم له، فأن كان من العلماء الفقهاء، سيطرت لغة العلم الفقهي ومصطلحاته، وإن كان من الفلاسفة أو المتصوفة، غلب على الترجمة معجم الفلسفة أو التصوف، ومثلها مع أعلام الأدب والشعر، حيث تبدو العبارة أكثر أدبية، وأكثر شاعرية. بينما تبقى شخصية الإمام واضحة عندما يعرض قضايا تراجمه على المنطق والعقل، ويستعين بالمنطق الحجاجي الذي يحسنه.

¹ - علم التراجم، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، ينظر الرابط:

- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

² - محمد الخضر حسين: تراجم الرجال، ص: 31.

³ - المصدر نفسه، ص: 39.

4- ترجمة الخضر حسين للشخصيات الأدبية:

ترجم الشيخ الخضر حسين لشعراء قدامى (جاهليين وإسلاميين)، ولم تكن نية الخضر أن يترجم له على طريقة دارسي الأدب العربي، وإنما من خلال رده على طه حسين، حين افرد في كتابه "في الشعر الجاهلي" مبحثا خاصا بعنوان قصص وتاريخ تناول فيه أبرز شعراء الجاهلية (امرؤ القيس، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة الفحل، والمهلhel، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن العبد، والمتلمس)¹. فافتضى الأمر من الشيخ الخضر أن يناقش طه حسين في تراجم هؤلاء الشعراء الجاهليين، مثل ما ناقشه في تاريخ الشعر الجاهلي.

ومن هنا جاز لنا أن نعد ما قاله الشيخ الخضر في هؤلاء الشعراء ضربا من الترجمة الأدبية، يمكنها أن تقدم صورة لرؤية الخضر حسين لهؤلاء الشعراء، خاصة أنها صادرة عن مناقشة ومحاجة، وليس عن تأريخ أو وصف، وهنا تكمن جودة ترجمة الخضر.

وسنحاول أن نعرض ترجمة امرئ القيس، كما وردت في كتاب نقض كتاب في الشعر الجاهلي، بعد أن نتصرف بعض التصرف في الصياغة حتى يتناسب المر مع روح الترجمة الأدبية.

5- من تراجم الأدب الجاهلي:

5-1- نموذج امرئ القيس (من خلال نقض كتاب في الشعر الجاهلي)

في نسب قبيلة امرئ القيس:

تناول طه حسين الكلام عن نسب امرئ القيس، فقال بأن الرواة لا يختلفون في أنه من "كندة"، وأنها قبيلة من قحطان اليمنية. يقول الشيخ الخضر: "الرواة اتفقوا على أن كندة قبيلة يمانية، في حين أن كتباً كثيرة... تذهب إلى أن كندة قبيلة عدنانية، فهذا ابن الكلبي يقول في كتاب «الافتراق»: "وكان لجنادة بن معد الغمر: غمر ذي كندة وما صاقبها، وبها كانت كندة دهرها الأول، ومن هنالك احتج القائلون في كندة ما قالوا، لمنازلهم في غمر ذي كندة، يعني: من

¹ - طه حسين: في الشعر الجاهلي، ص: 137 - 192

نسبهم في عدنان". وهذا البكري يقول في «معجم ما استعجم»: "... وكندة ابن ثور من جنادة، ومن نسب كندة في معد... قال عمر بن أبي ربيعة:

إذا سلكت غمر ذي كندة مع الركب قصداً لها الفرقد»

في ترجمة امرئ القيس :

ويذكر طه حسين اختلاف الرواة في اسم امرئ القيس، واسم أبيه، واسم أمه، واختلافهم في أن له ولداً، أو كان عقيماً. ثم ينتهي إلى أن أيسر شيء يؤخذ به هو ما اتفقت عليه الكثرة الغالبة من الرواة، كونه صحيحاً، أو مرجحاً.

يقول الشيخ الخضر: "... أما أنا، فقد أطمئن إلى آراء الكثرة، أو قد أراي مكرهاً على الاطمئنان لآراء الكثرة في المجالس النيابية وما يشبهها، ولكن الكثرة في العلم لا تغني شيئاً؛ فقد كانت كثرة العلماء تنكر كروية الأرض وحركتها، وظهر أن الكثرة كانت مخطئة. وكانت كثرة العلماء ترى كل ما أثبت العلم الحديث أنه غير صحيح. فالكثرة في العلم لا تغني شيئاً.

امرؤ القيس وعبد الرحمن بن الأشعث:

تكلم طه حسين عن عبد الرحمن بن الأشعث، وهو بصدد الكلام عن امرئ القيس، مستغلاً انتسابه إلى قبيلة كندة، قبيلة امرئ القيس، حيث راح "... يقص كيف وفد من كندة وفد على النبي (ﷺ)، وعلى رأسه الأشعث، وكيف ارتدت كندة، وكيف تاب الأشعث، واشترك في فتح الشام، وفتح الفرس، وتولى عملاً لعثمان، وظاهر علياً على معاوية، ثم انتقل إلى الحديث عن ابنه محمد بن الأشعث، وذكر اعتماد زياد عليه في أخذ حجر بن عدي الكندي، وعرج على قتل معاوية لحجر بن عدي هذا، في نفر من أصحابه، وانتقل إلى سيرة عبد الرحمن بن الأشعث، وثورته بالحجاج، وخلعه لعبد الملك، ووقوعه في يد عامل الحجاج، وانتهاء واقعته بقتل نفسه".

يقول الشيخ الخضر: عقد المؤلف مشابحة بين امرئ القيس وعبد الرحمن بن الأشعث، وزعم أن عبد الرحمن ثار منتقماً لحجر بن عدي، كما أن امرأ القيس قام مطالباً بثأر أبيه، وذكر في وجه الشبه: أن كلا منهما طامع في الملك، متنقل في البلاد، مستعين بملك: امرؤ القيس بقيصر، وعبد

الرحمن بملك الترك، وأن كلا منهما غدر به الملك الذي التجأ إليه، ويتشابهان في أن كلا منهما مات في طريقه عائدا من بلاد الملك الذي التجأ إليه.

ثم يورد تشكيك طه حسين في شخصية امرئ القيس، فيقول: قال في (ص: 137): "أليس من اليسير أن نفترض، بل أن نرجح: أن حياة امرئ القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لونا من (التمثيل) لحياة عبد الرحمن، استحدثه القصاص إرضاء لهوى الشعوب اليمانية في العراق، واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاء لعمال بني أمية من ناحية، واستغلالاً لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تعرف عن هذا الملك الضليل من ناحية أخرى؟".

يرد الشيخ الخضر: "ونحن نلقي عليك واقعة عبد الرحمن بن الأشعث في تلخيص وإيجاز، لتعلم أن بينها وبين قصة امرئ القيس من الفرق ما لا يجتمعان به إلا في مخيلة تتراكم فيها صور الأشياء على غير نظام.

يذكرون أن الحجاج كان يبغض عبد الرحمن بن الأشعث، ويقول: ما رأيته قط، إلا أردت قتله، وكان عبد الرحمن يعرف هذه السريرة من الحجاج، ويقول: أنا أزيله عن سلطانه.

كان الحجاج واليا على العراق وخراسان وسجستان، فجهز جيشا لفتح بلاد (رتبيل) ملك الترك، وبعثه تحت راية عبد الرحمن.

سار عبد الرحمن بالجيش حتى دخل في طرف من بلاد (رتبيل)، ثم عقد الرأي مع الجيش على أن يرجئوا التوغل في البلاد إلى العام المقبل. وبلغ الحجاج ما عزم عليه عبد الرحمن من هذه الهدنة، فأمره بالمضي في سبيل الفتح، وهدده بالعزل إذا هو لم يفعل، فائتمر عبد الرحمن والجيش، الذي تحت قيادته بخلع الحجاج، ثم نادوا بخلع عبد الملك، وبايعوا عبد الرحمن، وأقبلوا إلى العراق.

دارت حروب بين عبد الرحمن والحجاج، كانت عاقبتها: أن انقلب عبد الرحمن منهزما إلى سجستان. ولحق بكرمان، فلقي من عامله بها نزلا مهياً، ثم رحل إلى «زرنج»، فتنكر له عامله هنالك، وأغلق باب المدينة دونه، فانصرف إلى «بست»، وكان عامله عليها عياض بن هيمان، فاستقبله، ثم أوثقه في غفلة من قومه؛ لينال به عند الحجاج قربا وسلاما، وكان (رتبيل) قد ركب

لاستقبال عبد الرحمن، فنزل على «بست»، وهدد عياضا، فأطلق سبيله، وحمله إلى بلاده، وأنزله في جواره.

تتابعت كتب الحجاج إلى (رتبيل) في أن يبعث إليه عبد الرحمن، وكان من أثر هذه الكتب، وما تحمله من ترغيب وترهيب: أن بعث (رتبيل) بعبد الرحمن مقيدا إلى عمارة بن تميم؛ ليضعه في يد الحجاج، فرمى عبد الرحمن بنفسه من سطح قصر، فهلك، وأرسل عمارة برأسه إلى الحجاج.

نرى عرض هذه القصة على وجهها التاريخي كافيا لنقض ما يزعمه المؤلف من المشابهة بينها وبين قصة امرئ القيس، ومن أن قصة امرئ القيس موضوعة رمزا لها.

وأول ما يخطر لك: أن عبد الرحمن بن الأشعث لم يقيم للأخذ بثأر حجر بن عدي، وتستبعد هذا الذي يدعيه المؤلف من جهة أن القرابة بين عبد الرحمن وحجر لم تكن من الشدة، بحيث تحمل على الخوض في محاربة دولة ذات شوكة انتقاما لها؛ فإن عبد الرحمن إنما يلتقي بحجر في الأب الخامس، وهو معاوية بن جبرة.

ويضاف إلى هذا: أن القاتل لحجر معاوية بن أبي سفيان، وصاحب الدولة يوم ثورة عبد الرحمن عبد الملك بن مروان، ويزاد على هذا: أن قتل معاوية لحجر كان في سنة 51هـ، وثورة عبد الرحمن على عبد الملك كانت في سنة 81هـ، وثلاثون سنة تمر على الواقعة شأنها أن تخفف من تغيط النفس لها إلى حد ألا يبقى فيها من أثر الغيط ما يدفع إلى اقتحام الأهوال، والخطار بالحياة في فتنة عمياء.

ويبدو لك بعد هذا: أن ابن الأشعث إنما طلب الملك بالجيش الذي كان تحت قيادته، ولم يستعن عليه بملك - كما يزعم المؤلف - ، والذي وقع في (رتبيل): أنه استقبله بعد عودته في هزيمة ويأس من الملك الذي طمع فيه، ولم يرج منه ابن الأشعث أكثر من أن يحميه، ويؤامنه من سطوة الحجاج.

شعر امرئ القيس:

تحدث المؤلف بأن شعر امرئ القيس ينقسم إلى قسمين : أحدهما يتصل بهذه القصة، فشأنه شأنها في الانتحال، وأنه شعر إسلامي لا جاهلي، ثانيهما لا يتصل بهذه القصة، وإنما يتناول فنونا من القول مستقلة من الأهواء السياسية والحزبية.

ثم قال في (ص: 138) : « فامرؤ القيس هو الملك الضليل حقا، نريد: أنه الملك الذي لا يعرف عنه شيء يمكن الاطمئنان إليه. هو ضلُّ بن ضلِّ كما يقول أصحاب المعاجم اللغوية».

وبعد أن عقد مشابهة بينه وبين (هوميروس) الشاعر اليوناني، قال في (ص: 139): «ونحن نذهب هذا المذهب نفسه في تفسير هذه الأخبار والأشعار التي تمس تنقل امرئ القيس في قبائل العرب؛ فهي محدثة؛ انتحلت حين تنافست القبائل العربية في الإسلام، وحين أرادت كل قبيلة، وكل حي أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن».

يرد الشيخ، فيقول: "لعلك عرفت أن ما يزعم المؤلف من أن قصة امرئ القيس رمز إلى واقعة ابن الأشعث قول مرغوب عنه، وهو إلى المرح أقرب منه إلى الجدد، وما لنا إلا أن ننظر في تحقق شخصية امرئ القيس، ثم ننظر في مبلغ الثقة بأن هذا الشعر صادر عنه.

يجد الباحث في كتب الأدب والتاريخ روايات متفرقة، وآثارا مختلفة، تدل على أن شاعرا من كندة يقال له: امرؤ القيس ... وبأن امرأ القيس كان شاعرا جاهليا، وأن له شعرا يدور بين الناس.

أما هذا الشعر المضاف إليه، فقد نقله علماء الأدب، ونفوا عنه قسما ذكروا أنه محمول عليه، نفوا عنه أبياتا من قصائد - وقد ضربنا فيما سلف، وسنضرب لهذا الصنيع مثلا - وارتابوا في قصائد بجملتها، فتجدهم يوردون القصيدة، ويقولون لك: ويقال: هي لبشر بن أبي خازم، أو لأسامة البجلي، أو لعبد الله بن عبد الرحمن السلامي، أو لأبي دؤاد الإيادي، أو لرجل من كندة، أو لرجل من بني النمر يقال له: ربيعة بن جشم، أو لعمر بن المرادي.

نقدوا شعر امرئ القيس جهد استطاعتهم، فنفوا ما قام الدليل من رواية أو نظر على أنه منحول، وكفوا عن البقية؛ لأنها جاءت على طريق الثقات، لم يجدوا لقطع صلتها عنه وإحاقها بالمصطنع من سبيل.

قصيدة امرئ القيس في السموأل :

يورد الشيخ الخضر مقولة لطف حسين تتعلق بقصيدة امرئ القيس في السموأل، فيقول: "قال المؤلف في (ص: 139): "وقد أحس القدماء بعض هذا، فصاحب «الأغاني» يحدثنا أن القصيدة القافية التي تضاف إلى امرئ القيس على أنه قالها، يمدح السموأل حين لجأ إليه، منحولة، نخلها دارم بن عقال، وهو من ولد السموأل. وأكبر ظننا أن دارم بن عقال لم ينحل القصيدة وحدها، وإنما نحل القصة كملها، وانتحل ما يتصل بها أيضا : نحل قصة ابن السموأل الذي قتل بمنظر من أبيه حين أبي تسليم أسلحة امرئ القيس".

يجيب خضر: "يصف القدماء الشعر بالانتحال، مستنديين إلى نقل موثوق به، أو نظر يصحبه ذوق سليم، وحكمهم على قصيدة، أو قصائد من شعر امرئ القيس لا يجعلونه وسيلة إلى إنكار كل ما يضاف إليه، أو يذهبون به إلى أن هذا الشعر الذي يعزى إلى الجاهليين ليس من الجاهليين في شيء".

أعاد المؤلف الحديث عن قصيدة امرئ القيس في السموأل، وتنبه صاحب «الأغاني» على انتحالها، وقال: إن دارما نحل القصة، وما يتصل بها جميعا. وقد مشى المؤلف (طف حسين) في هذا وراء (جرجي زيدان)، والفارق بينهما: أن المؤلف حسبك من الطائفة التي يسميها مستنيرة، فلم يزد على أن جعل هذا الزعم أكبر ظنه، أما جرجي زيدان، فقد حدثك في هيئة الباحث في العلم؛ حيث قال في «آداب اللغة العربية»، يصف السموأل: «وحدثه مع امرئ القيس الشاعر والأدريع أشهر من أن يذكره حتى يتبادر إلى الذهن أن العرب وضعوا ذلك الحديث، أو بالغوا فيه على سبيل التمثيل؛ ترغيبا في الوفاء؛ فإن الطبيعة تأبى على الرجل أن يضحي بابنه في سبيل الوفاء، ولا نقول: إن ذلك مستحيل، لكنه بعيد الحدوث».

قصة ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية :

يورد الشيخ الخضر هذه القصة عن طه حسين، فيقول: قال المؤلف في (ص: 140): «.. ثم كانت هذه القصة سببا في انتحال قصة أخرى هي قصة ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية، وما لا يتصل بها من الأشعار».

يقول الشيخ الخضر: "من الجائز أن يكون في الأخبار المتصلة بقصة ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية ما ليس بثابت، ولا سيما ما يحكيه الرواة أنفسهم بنحو قولهم: «ويقال»، أو «زعموا»، أو: «وذكروا». أما أصل القصة، فقد تواردت عليه الروايات، وما تتوارد عليه الروايات لا ينساب إلى الحكم عليه بالانتحال، وهو أعزل من البيئة إلا من يخف على لسانه أن يقول ما لا يمليه عليه العقل.

وليست الروايات العربية وحدها تذهب إلى أن امرأ القيس رحل إلى القسطنطينية مستنجدا بملك الروم على بني أسد، فإنك تجد، في كتاب «شعراء النصرانية»، معزوا إلى تاريخ الروم. وإليك ما في الكتاب: «وقد جاء ذكر امرئ القيس في تاريخ الروم مثل: «نونوز»، و«بركوب»، وغيرهما، وهم يسمونه: قيسا، وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر «يوستينيانس»، أرسل إليه وفدا يطلب منه النجدة على بني أسد، وعلى المنذر ملك العراق.. ثم أخبر المؤرخون المومأ إليهم: أن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه إلى قسطنطينية.. قد ذكر «نونوز» المؤرخ أن «يوستينيانس، قلده إمرة فلسطين، إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره، وإعادة ملكه، فضجر امرؤ القيس، وعاد إلى بلده، وكانت وفاته نحو سنة 565م، أصابه مرض كالجذري في طريقه كان سبب موته».

معلقة امرئ القيس :

عرض الشيخ الخضر ما قاله طه حسين حول معلقة امرئ القيس، فقال: قال المؤلف في (ص: 144): «وهذا البحث ينتهي بنا إلى أن أكثر هذا الشعر الذي يضاف لامرئ القيس ليس من امرئ القيس في شيء، وإنما هو محمول عليه حملا، ومختلق عليه اختلاقا».

فيعلق الشيخ: "ذهب المؤلف في بعض الصحف من كتابه إلى أن هذا الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس لا يمكن، من الوجهة اللغوية والفنية، أن يكون له. ومقتضى تمسكه بأن امرأ القيس يعني مولداً ونشأة، وأن لغة قحطان نازلة من لغة عدنان منزلة اللغات غير العربية: أن يكون جميع هذا الشعر الذي يضاف إلى امرئ القيس منحولاً، فإننا لم نجد شيئاً منه على غير اللغة التي ينظم فيها شعراء نجد والحجاز. ولكن المؤلف يقول في هذه الصحيفة: إن البحث ينتهي به إلى أن أكثر هذا الشعر ليس من امرئ القيس في شيء، ومعنى هذا: أن في الشعر المضاف إلى امرئ القيس شعراً هو منه في شيء، وأظن أن المؤلف سيجد كثيراً من المشقة والعناء ليحل هذه المشكلة.

وأقبل المؤلف على المعلقة، وذكر أنه لا يعرف قصيدة يظهر فيها التكلف أكثر مما يظهر في هذه القصيدة، وأنه لا يحفل بقصة تعليق هذه القصائد السبع أو العشر؛ لأنها نشأت في عصر متأخر جداً، ولا يثبتها شيء في حياة العرب وعنايتهم بالآداب.

القدماء، وأنصار القديم هم الذين أنكروا رواية تعليق هذه القصائد على الكعبة، ومنهم من لم يرض عن رواية تعليقها في الدفاتر أيضاً، وقالوا: إنما سميت معلقات؛ لعلوقها بأذهان صغارهم وكبارهم، ومرؤوسيههم ورؤسائهم، وذاك لشدة عنايتهم بها، ولعل هذا أحسن وجه في تسميتها معلقات. وإنا لنجد في تاريخ الأدب آثاراً قديمة تشهد بصحتها، ففي «اختيار المنظوم والمنثور» [تأليف أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفى سنة 280هـ] قال: "روي أن معاوية أمر الرواة أن ينتخبوا قصائد يروونها ابنه، فاختاروا له اثنتي عشرة قصيدة.. وبعد أن تكلم أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن هذه القصائد، قال: «.. ولولا شهرة هذه القصائد وكثرتها على أفواه الرواة وأسماع الناس، وأنها أول ما يتعلم في الكتاب، لذكرناها». والمروي عن المفضل الضبي: أن العرب كانوا يسمون القصائد السبع: السموط، ذكر صاحب «جمهرة أشعار العرب» امرأ القيس، وزهيراً، والنابعة، والأعشى، وليبداً، وعمرو بن كلثوم، وطرفة، ثم روى عن المفضل الضبي: أنه قال: «هؤلاء أصحاب السموط، فمن قال: إن السبع لغيرهم، فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة».

6- من تراجم الأدب الإسلامي:

تحت عنوان: (نظرة في شعر حسان بن ثابت)، في مقال طويل نشره الشيخ محمد الخضر حسين في مجلة الهداية الإسلامية (المجلد الحادي عشر)، تناول الشيخ شخصية حسان بن ثابت، ويبدو منطقيا، في مجلة ذات توجه إسلامي، أن الموضوعات التي تنشر فيه، هي موضوعات إسلامية، أو قريبة منه، ومن هنا، سنجد مبررا قويا لوجود مثل هذه الموضوعات الأدبية الخالصة في مثل هذه المجالات الدينية، خاصة مع شخصية عدت في تراثنا الأدبي قريبة جدا من شخص الرسول الكريم، هو حسان بن ثابت (شاعر الرسول).

يبدأ الشيخ الخضر ترجمته بقوله:

"حسان بن ثابت، قضى شطراً من عمره في الجاهلية، وشطراً في الإسلام، وكان آباؤه من ذوي الشرف والوجاهة في الجاهلية، فنشأ في المدينة، وكان للشعر في ذلك العهد نهضة راقية، ففي ذلك العهد ظهر شعراء مبدعون، مثل علقمة وزهير والنابعة والأعشى وقيس بن الخطيم، وكان لهؤلاء المبدعين ميدان يتبارون فيه، هو سوق عكاظ، فكل من في قريته استعداد لصنع الشعر، كحسان بن ثابت، يجد في هذه النهضة باعثاً على أن يقول الشعر، وينافس في مضماره بأقصى ما يستطيع. ويزيد حسان بمهية هو أنه نشأ في بيت أصيل في صناعة الشعر، فقد كان أبوه ثابت وجده المنذر معدودين في قبيل الشعراء.

6-1- نموذج حسان بن ثابت (نظرة في شعر حسان بن ثابت)

(سمو مكانة حسان في الشعر)

يتناول الشيخ الخضر تحت هذا العنوان قضية مهمة من قضايا الشعر، إلا وهي قضية (الطبع والصناعة) في الشعر، فيقول:

"في الشعراء من يتأني في نظم الشعر ولا يخرجهم للناس إلا بعد أن يبالي في تنقيحه، كالحطيفة فيما يقال، ويسمى هذا النوع من الشعر بالمصنوع، ومنهم من يقوله ويسمعه الناس على ما تجود به القريحة لأول مرة، كحسان بن ثابت، ويسمى هذا النوع من الشعر بالمطبوع،

وكان الأصمعي يعيب الخطيئة، وقال: وجدت شعره كله جيداً فدلني على أنه كان يصنعه، وليس هكذا الشاعر المطبوع، إنما الشاعر المطبوع الذي يرمي بالكلام على عواهنه جيده على رديه. ولعلهم يريدون من الردي الأبيات التي تكون في مرتبة دون مرتبة الإبداع، فإن احتمال شعر الرجل الذي عرف بالبراعة على أبيات في مرتبة متوسطة، يدل على أنه لا يبالغ في تهذيب شعره، بل يلقيه على نحو ما تسمح به قريحته.

ومن شواهد أن حسان لم يكن يتأنى ويتكلف للشعر، وما يروى من أنه قد يقول الشعر في المجلس الذي وجد فيه الباعث على الشعر، كقصته مع وفد تميم إذ جاؤوا إلى الرسول ﷺ، وأنشد أحد شعرائهم الزبرقان بن بدر أبياتاً يفخر فيها بقومه، فأجابه حسان في المجلس بالقصيدة التي يقول في مطلعها:

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَأَخَوْتَهُمْ قَدْ بَيْنُوا سَنَةً لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ

والأصمعي الذي عاب الخطيئة بالتصنع في الشعر، شهد لحسان بسمو المكانة في الشعر، وقال: حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء.

وقال ابن رشيق في كتاب العمدة: وأشعر أهل المدر بإجماع واتفاق من الناس حسان بن ثابت، ثم قال: وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن، في الجاهلية بامرئ القيس وفي الإسلام بحسان بن ثابت.

كان عمر بن الخطاب يرجع في القضايا التي تتعلق بالشعر إلى حسان، استعداه رهط تميم على الشاعر المعروف بالنجاشي لما هجاهم، فألقى النظر في أمرهم إلى حسان ونقذ عمر ما حكم به حسان، وكذلك في هجاه الخطيئة للزبرقان بن بدر، فقد أخذ رأي حسان في أن ما قاله الخطيئة هجاه، وأودعه السجن.

ويوجد فيما ينسب إلى حسان من الشعر شيء كثير فيه ضعف، وبعض علماء الأدب ينفي أن يكون هذا الشعر الضعيف من صنع حسان، مثل الأصمعي، فإنه لما جعل حسان في مرتبة فحول الشعراء، قال له أبو حاتم: تأتي له أشعار لينة، قال الأصمعي: تنسب إليه أشياء لا تصح عنه.

والواقع أن حسان لا يقل في صناعة الشعر عن النابغة وزهير وأمثالهم، بل عدّه ابن خلدون في الطبقة التي تفوق هؤلاء الجاهلين، من جهة أنهم سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، فارتقت ملكاتهم، وكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا.

فلحسان أشعار تضاهي في براعة الصنع وجودة التصرف أرقى شعر يقوله زهير وعلقمة أو النابغة، وله أشعار تضاهي ما يعدُّ في المرتبة المتوسطة من أشعار أولئك الفحول، وأرى أن أكثر هذا الشعر الضعيف الذي ينسب إليه ليس من صنعه، فإن الشاعر الفحل قد يضعف في الأبيات القليلة من القصيدة، وإذا تناول في شعره بعض المعاني المبتذلة، فإنه لا ينزل عن براعة الأسلوب ومتانة نسج الألفاظ إلا قليلا.

(الفخر في شعر حسان):

تهيأت لحسان في الجاهلية أسباب البراعة في الفخر، فقد نشأ في بيت عريق في الشرف والتفاخر بالأنساب وخصال الشرف مما أولع بها العرب، ويضاف إلى هذا أن الخزرج الذين هم قوم حسان كانت بينهم وبين الأوس حروب ووقائع، ثم جاء الإسلام وقامت الحروب بين المسلمين والمشركون، والحروب تستدعي من الشاعر أن يجول في الفخر والحماسة جولات واسعة، فكان من فنون شعر حسان الفخر والحماسة.

يفخر حسان بالكرم والسخاء كما قال:

وإن أكُ ذا مال قليل، أجدُّ به
وإن يهتصر عودي على الجهد يحمد

وقال:

وإني لمعط ما وجدت، وقائل
لموقد ناري ليلة الريح أوقدي

وفيفخر برعاية حق الجار، كما قال:

فما أحدٌ منا بمهدٍ لجاره
لأنّا نرى حق الجوار أمانة
ويفخر بالصبر على الشدائد، كما قال:
فلا المال ينسيني حيائي وعفتي
ويفخر بالعدل ، كما قال:
فنحن ولّاة الناس في كل موطن
توفّق في أحكامنا حكماؤنا
ويفخر بالبراعة في الشعر، كما قال:
لكل أناس ميسم يعرفونه
ويفخر بالعزم ، كما قال:
ونحن، إذا لم يبرم الناس أمرهم
ويفخر بالشجاعة ، كما قال:
ويثرب تعلم أنا بها
نمز القنا في صدور الكما
وجمع الفخر بالشجاعة والسخاء في بيت فقال:
لنا الجفّنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
يفتخر حسان بالشجاعة ولكن بعض المؤرخين يقولون: كان يجبن، وإنما جهاده بشعره،
وأنكر بعضهم أن يكون حسان جبانا، وقال: إنه كان يهاجي قريشاً، ويذكر مثالبهم، ولم
يبلغنا أن أحداً عيّره بالجبن، والفرار من الموت.

(المديح في شعر حسان):

تهيأت لحسان أسباب البراعة في المديح في الجاهلية، فقد كان يفد على آل جفنة بالشام، ويسطون إليه أيديهم بالجوائز، حتى روي أنه كان يرحل إليهم عاماً بعد عام، ومن أشهر قصائده في مدحهم القصيدة التي يقول في أولها:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي، فالبضيع، فحومل

ويقول:

يوماً يجلّق في الزمان الأول	لله درّ عصابة نادمــــتهم
مشي الجمال إلى الجمال البزل	يمشون في الحلل المضاعف نسجها
حزماً يطيح له بنان المفصل	الضاربون الكبش يبرق بيضه
والمنعمون على الضعيف المرمّل	والخالطون فقيرهم بغنيهم
قبر ابن مارية الكريم المفصل	أولاد جفنة حول قبر أبيهم
لا يسألون عن السواد المقلّل	يغشون حتى ما تهرّ كلابهم

وروي أنه تلا هذه القصيدة على عمر بن الحارث الغساني، وكان في المجلس علقمة والنابغة، فلم يزل عمر يزحل عن موضعه، حتى شاطر البيت وهو يقول مخاطباً علقمة والنابغة: هذا وأبيك الشعر لا ما تعللاني به منذ اليوم.

وقد وقع البيت ((يغشون حتى ما تهرّ كلابهم)) من الخطيئة موقع الاعجاب فقال: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقليل

وتهيأت لحسان أسباب المديح في الإسلام بعد الجاهلية، إذ رأى من كما رسول الله ﷺ وسمو مكانته ومكارم أخلاقه فوق ما كان يراه في الناس بدرجات لا تحصى، فكان إيمانه الصادق يدعوه إلى مديح النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ومن أبلغ ما روي له في مدح الحضرة النبوية قوله:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خُلِقْتَ مبرّاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وقوله:

متى يبد في الليل البهيم جبينه يلح مثل مصباح الدجى
فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظاماً لحق أو نكالاً ملحد

(الهجاء في شعر حسان):

يعزى إلى حسان أشعار على أنه هجا بها في الجاهلية بعض الأشخاص أو بعض القبائل، وهجا حسان بعد دخوله الإسلام. وسبب هذا الهجاء أن رهطاً من المشركين كانوا يهجون النبي ﷺ، فقال المهاجرون: يا رسول الله ألا تأمر علينا فيهجو هؤلاء القوم؟ فقال: أن القوم الذي نصرُوا بأيديهم أحق أن ينصروا بألسنتهم، فقالت الأنصار: أرادنا والله، فأرسلوا إلى حسان فأقبل، وأذن له رسول الله ﷺ في هجائهم. ومن عرف ما كان للشعر له أثر كبير في الصد عن الدعوة، وصرف النفوس عن قبولها، فلا بد من مدافعة هذا الشعر الهجائي بشعر مثله يبطل أثره أو يجفف شره. وفي حديث عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال: ((قولوا لهم يقولون لكم)) فهجاء حسان في الإسلام إنما كان دفاعاً لمن اتخذوا الهجاء طريقاً لمحاربة الدعوة إلى الحق، وكذلك قال حسان مخاطباً أبا سفيان ابن الحارث:

هجوت مُجَدًّا فَأَجَبْتَ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
فَإِنْ أَبِي وَوَالِدُهُ وَعَرْضِي لَعَرَضَ مُجَدِّ مِنْكُمْ فِدَاءُ

وكان حسان يهجو الأشخاص والقبائل بالبخل أو الجبن أو الغدر أو اللؤم، أو بنقص العقل أو الكفر والضلال. وينسب إليه أبيات فيها فحش وإقذاع، وليس من المحتمل أن تكون تلك الأبيات المقذعة التي يحتويها الديوان المنسوب إليه قد صدرت منه بعد دخوله الإسلام بل أراها مصنوعة ومنسوبة إليه بغير حق، فإن الإسلام طبع نفوس الصحابة على آداب رفيعة وسار بهم في سيرة نقية لو عرضنا عليها هذا الشعر المقذع رأيناها تدفعه؛ وحسان من الصحابة الذين تأدبوا بأدب القرآن ولا زموا مجلس رسول الله ﷺ سنن كثيرة.

ثم إنا حسان يعني في فخره بخصلة النزاهة عن الفحش كما قال:
أبي فعلنا المعروف أن ننطق الخنا وقائلنا بالعرف أن لا تكلمنا

وقال في الفخر:
مساميحٌ بالمعروف وسط رحالنا وشباننا بالفحش أبخل باخل

ويمدح قومه:
إذا اختبطوا لم يفحشوا في أيديهم وليس على سؤلهم عندهم بخل

وقال:
مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام معاطي للعشيرة سؤلها

وليس من شك في أن تلك الأبيات المقذعة فحش ليس بعده فحش.

وإذا وجد بعض هذا الشعر المقذع في سيرة ابن إسحاق، فإن لدينا نصوصاً تجعلنا لا نتقبل ما يرويه ابن إسحاق في السيرة من الشعر إلا بتحفظ، فهذا ابن هشام قد يورد القصيدة منسوبة إلى من نسبها إليه إسحاق ويقول: وأهل العلم أو أكثر أهل العلم ينكرها لفلان: أي الذي نسبها إليه ابن إسحاق.

إذن ابن إسحاق نسب في السيرة أشعاراً كثيرة لأناس ينكر أهل العلم أن تكون لهم، وهذا يساعدنا على إنكار أن يكون هذا الشعر المقذع قد صدر من حسان في عهد النبوة.

ونزيد على هذا أن من نقماد الرجال من أنكر على ابن إسحاق هذا الشعر الذي يرويه. قال ابن معين في حق ابن إسحاق: ماله عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة والأشعار المكذوبة.

وهذا ابن سلام الجمحي يقول في كتاب الشعر والشعراء: شعراء المدينة الفحول خمسة وأشعرهم حسان، وقد حمل عليه مالم يحمل على غيره، لما تباغضت قريش واستبت، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به.

وأريد من هذا أن ما ينسب إلى حسان من الشعر، ننظر فيه من جهة ما يعير عنه المعاني، فإن وجدناه يلائم روح عهد النبوة، وما عرف به الصحابة من نزاهة وفضل قبلناه ورويناه على أنه شعر حسان، إن وجدناه ينافي روح ذلك العهد أنكرناه ولا سيما شعراً لم يرد منسوباً إلى حسان بسند متصل صحيح.

(النسيب في شعر حسان):

يذهب حسان في النسيب مذهب الشعراء من قبله، فيذكر الشوق والسهر وطول الليل، ويكثر من ذكر الديار وأطلالها، والرحيل وما يحدثه من روعات وحسرات، ويسوق نسيبه في نزاهة معنى وجزالة نظم، ومثل هذا قوله:

تطاول بالخممان ليلي فلم تكن	تهم هوادي نجمه أن تصوبا
أبيت أراعيها كأني موغل	بها لا أريد النوم حتى تغيبا
إذا غار منها كوكب بعد كوكب	تراقب عيني آخر الليل كوكبا
غوائر تترى من نجوم تخالها	مع الصبح تتلوها زواحف لُعبا
أخاف مفاجأة الفراق ببعثة	وصرف النوى من أن تشب
وأيقنت لما قوَّض الحي خيمهم	بروعات بـين تترك الرأس

يصدر حسان المدح أو الفخر بالنسيب، بل قد يصدر المهجاة بذكر البين والرحيل والبكاء، وكثيراً ما يخرج من النسيب إلى غيره من الفنون بقوله: ((دع ذا)) أو نحوه، كما نرى هذا في شعر هاجي به قيس بن الخطيم إذ قال في أوائله:

ما كنت أدري بوشك بينهم	حتى رأيت الحدوج قد عزفوا
فغادروني والنفس غالبها	ما شقَّها والهموم تعتكف
دع ذا وعد القريض في نفر	يرجون مدحي ومدحي الشرف

والقصيدة التي افتتح بها ديوان حسان الذي بأيدينا، قصيدة هاجي بها أبا سفيان ابن الحارث، وهي مصدرة بنحو عشرة أبيات من النسيب وأولها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

وقال بعد العشرة الأبيات متخلصاً إلى مخاطبة قريش وأبي سفيان بن الحارث:

عدمنا خيلنا إن لم تروها	تثير النقع موعدها كداء
يبارين الأعنَّة مصعدات	عن أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات	تلطمهن بالخمير النساء

ونقل عن حسان أن أبيات النسيب من هذه القصيدة قالها في زمن الجاهلية، ثم وضعها في أول هذه المهجاة بعد الإسلام، ومن نظر في تلك الأبيات وجد عليها طابع شعر حسان في الجاهلية.

(الحكمة في شعر حسان):

من فنون الشعر التي برع فيها حسان إرسال الحكم البالغة، ومن هذا الباب قوله فيمن يوثق بصحبته من الأخوان:

أخلاء الرخاء هم كثير ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغرك خلة من تواخي فمالك عند نائبة خليل
وكلُّ أخٍ يقول أنا وفي ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خلٍ له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعول

وقال مشيراً إلى الشباب محفوف بالأهواء، وناصحاً بعدم إطاعته في كل أمر:
إنَّ شرَّ الشباب والشعر الأسـ د ما لم يعاص كان جنونا

وقال يحذر من عاقبة اتخاذ وسائل الكيد للنفوس المقبلة على شأنها
وكم حافر حفرةً لامرئ سيصرعه البغيث ما احتفر

وقد تؤخذ الحكمة مما يقوله في الفخر كقوله في بذل المال صيانة للعرض:
أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال

وربما أخذت الحكمة مما يقوله في المهاجاة، كقول مشيراً إلى عاقبة الجبن والهرب من
مواقع الدفاع ذل وهوان:

كرهوا الموت فاستبيح حماهم وأقاموا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت يهربون فإن الـ موت موت النذل غير جميل
ومما يدخل في قبيل الحكمة، يدل على جودة تخيله لاصطيادها، قوله يصف القول
المزخرف للغرور به:

إني لأعجب من قول غررت به حلو يمد إليه السمع والبصر
لو تسمع العصم من شم الجبال به ظلت من الراسيات العصم تنحدر
وكالسراب شبيهاً بالغدير وإن تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لا ينبت العشب عن برق وراعدة غراء ليس له سبيل ولا مطر

وخلاصة البحث أن الشعر الذي تنسبه الرواية إلى حسان، ويوافق الرواية فيه النقد والفكر، هو شعر بالغ في براعة النظم، وجودة صياغة المعاني المرتبة التي هي أقصى ما بلغه الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام¹.

¹ - محمد الخضر حسين، الموسوعة: 129 / 7

الفصل الثاني

الخضر حسين مؤرخا ومترجما
لأدب وأدباء الغرب الإسلامي

مدخل إلى أدب الغرب الإسلامي

1- الاشكالية المَشْغَرِيَّة: (المشرقية / المغربية)

يقتضي البحث في موضوع تأريخ أدب المغاربة عند الشَّيْخ مُحَمَّد الخضر الحسين الجزائري، تحديده من خلال توضيح إشكالية المغاربة لدى المشاركة. وبما أنَّ الأدب المغاربي هو أدب له خصوصياته، وتميُّزه، إلَّا أنَّ من الباحثين والدارسين للأدب المغربي من يرى أنَّ نظيره (الأدب المشرقي)، ينظر إليه نظرةً دونيةً، لذلك فقد جرى جدالٌ وعتابٌ وحساسيةٌ ثقافية بين المغرب والمشرق.

فما إشكالية المغاربة لدى المشاركة، وما هي القضايا التي كانت تنحصر فيها الإشكاليات؟ وكيف نظر المشاركة للمغاربة؟ وما هو عتاب ولوم المغاربة للمشاركة؟

إنَّ القضايا المتعلقة بالأدب المغاربي كثيرةٌ ومتعددةٌ ولعلَّ أولها قضية تحديد المصطلح :

1-1- إشكالية المصطلح: (الأدب المغاربي)

تمثل عبارة (الأدب المغاربي)، مصطلحاً إيدولوجياً، وثقافياً، فرضته حقبةٌ تاريخيةٌ معيَّنة، قديماً وحديثاً، هي تلك التي اشتركت فيها أكبر أقطار المغرب العربي في الشمال الإفريقي: تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، قديماً وحديثاً.

وقد استمرَّ استخدام مصطلح (الأدب المغاربي) إلى غاية السبعينيات من القرن الماضي، للإشارة إلى أعمال ومؤلفات لكتّاب وشعراء ينتمون إلى منطقة جغرافية واحدة، ويشتركون - في إنتاجهم الفكري والأدبي - حول موضوع الاستعمار، وصور مقاومته، وحق أهالي المنطقة في تقرير مصيرهم، وانتزاع حريتهم.

وقد راج مصطلح (الأدب المغاربي) في أعمال مثقفي الشمال الإفريقي، من مفكرين، ومبدعين ونقاد، بل تعداه إلى غير المغاربة من المشاركة، والغربيين، فها هو الكاتب الفرنسي "جون ديجو" يكتب عن "الأدب المغاربي"، ويكتب الفرنسي "شارل بون" مجموعة مقالات موضوعها "الأدب المغاربي"، ويكتب المفكر "عبد الكبير الخطيبي" عن "سوسيولوجيا الرواية

المغربية"، مما قد يطرح جملة من الإشكاليات أهمها، قضية "التناظر" المغربي/ المشرقي"، إذ صار الرأهن يكرس فرضية التناظر أكثر من فرضية التقارب، مما جعل المصطلح في وضعية حرجة نتيجة الخلافات والصدمات الدّاخلية المتكررة"¹.

1-2- إشكالية الأدب المغربي لدى المشاركة والمغاربة:

إنّ الحديث عن الأدب المغربي، هو أشبه ما يكون بالحديث عن تلك العلاقة بين الجزر المتباعدة في محيط واحد، رغم العلاقات التاريخية، والجغرافية، واللغوية، والدينية التي تجمع أقطار المغرب العربي، إذ أمسى حديث جدال بين المشرق والمغرب بدلاً من الحديث عن تطلّعات وأفكار تجمعهم، فهناك حساسية غير منسجة بين مختلف أقطار المغرب العربي حول ما يكتب من إبداعات، مما يقتضي وضع اليد على الخلل الذي يحدث الهوة بين مختلف المبدعين، ويعيقهم عن التّواصل الإيجابي.

في كتاب "النبوغ المغربي" لعبد الله كنون، يقوم المؤلف برصد الأدب المغربي، وأدبائه، موجهها موجهها باللائمة إلى مؤرخي الأدب المشرقي، ومسؤوليتهم في إخفاء الأدب المغربي على المشاركة، و إنكار كثير من هؤلاء لكثير من مزايا إخوانهم المغاربة، وحض المغاربة على المطالبة بمكانهم في الأدب العربي، الذي هم من جملة من حمل لواءه².

وقد أصاب الأستاذ صاحب "النبوغ المغربي" في عدم إطلاقه القول على المشاركة أنهم جاهلون بأقدار المغرب، حين قيّد ذلك بقوله: "إنكار كثير من المشاركة لكثير من مزايا المغاربة"³.

ويقول عبد الملك مرتاض، متكلماً عن الجزائر: "إنّ الجزائر بحكم موقعها الجغرافي، كان منتظراً لها أن تكون ممراً لحضارات، ومجالاً لتيّارات فكرية خصبة، فكان أهل الأندلس والمغرب يَمُرُّون بها في طريقهم إلى الحج أو في طريقهم إلى طلب العلم بالشرق، يضعون رحالهم بمدنها

¹ - أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياها)، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط. 1، 2007، ص: 133، 134.

² - عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي (د.م.ط)، ط. 2، 1310 هـ / 1960م، 1: 18، 19.

³ - عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، 1: 19، 20.

الكبرى، فيطيب لهم المقام زمنًا، كما كان أهل المشرق يمرون بها حين يهيمنون المغرب أو الأندلس أو إفريقيا الداخلية"¹.

ولقد طال عتاب المغاربة للمشاركة دون أن يجدي عتابهم هذا فتيلاً، فبقدر ما كان المغاربة ينحون باللوائيم على المشاركة ويضجون من مواقفهم منهم بمر الشكوى، كان المشاركة لا يزدادون إلا عزوفاً عنهم وتجاهلاً لهم وزهداً في كتاباتهم ورغبة عما يجري بين ظهرايمهم؛ فكانت كتاباتهم، حين يكتبون، مقتضبة، خجولة، تتسم بالأخطاء التاريخية، في الوقت الذي كان المغاربة يعرفون عن المشرق العربي كل شيء: رجاله، وتاريخه، وأدبه، وفنونه، وكل ما يخص آثارهم"².

ولكن الباحث عبد الله كنون، ينصف المشاركة بعض الإنصاف، مشدداً اللهجة على المغاربة، ممن يملكون إمكانية التعريف بتراث المغرب، ولم يقدموا على ذلك، فيقول: "إن أعظم اللوم في هذا مردود على أولئك الذين ضيقوا على أنفسهم، وأهملوا ماضيهم وحاضرهم حتى أوقعوا الغير في الجهل بهم والتقول عليهم"³.

ومهما يكن من حديث حول ما يكتب، سواء أكان شعراً، أم رواية، فلقد يبقى الأمل الثقافي قائماً، يشد خيوطه هذا الأدب المغاربي الحديث، وينحو نحو حوار ثقافي وحضاري جاد، يرفع من قيمة هذا الأدب، خاصة في مجال النقد، وبتحديد أكثر، في الدراسات اللغوية واللسانية التي حققت سبقاً كبيراً لم يوجد بعد عند المشاركة"⁴.

¹ - ينظر: عبد الملك مرتاض: الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة، لبنان - بيروت، ط 1، 1982م، ص: 11.

² - ينظر: عبد الملك مرتاض: الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، ص: 11، 12.

³ - عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، 1: 31.

⁴ - نواره لحرش: الأدب المغاربي الحديث، تاريخ المشاهدة: 2019/04/21. ينظر الرابط:

- labs.univ-msila.dz/.../Cours%20de%20Littrature%20Maghrbine%2.

1-3- إشكالية لغة الكتابة:

من بين الإشكاليات التي تعرض لها المغاربة، أيضا، إشكالية "الهوية"، التي صادفت من يكتب باللغة الفرنسية، وقد أوصلت إلى طرح إشكالية أخرى أعمق، وهي إشكالية "الانتماء: هل ما يكتب بأفكار مغربية، ولسان فرنسي هو أدب فرنسي أم عربي بحكم اللغة التي كتب بها¹.

ومن هنا، تبقى إشكالية الانتماء والهوية، عبر ظاهرة الكتابة بلغة المستعمر، عند كتاب تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، مجال جدل حقيقي، بسبب أن هذه الإشكالية اللغوية لم تعد حكرا على بلدان الشمال الإفريقي، ممن خضع إلى الاستعمار الفرنسي، بل قد طالت معظم بلدان إفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية، التي اجتاحتها المد الاستعماري الأوربي، حيث توجد اليوم آداب مختلفة كتبت وتكتب في تلك البلدان باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية، وإلى حد ما باللغة الهولندية، أي بلغات الدول الاستعمارية الأوروبية التقليدية².

وحين ندرك أبعاد المشكلة من أساسها، وتعمق في فهمها، ينبغي أن نذكر بأن مسألة الانتماء في الجزائر قد طرحت، من الناحية التاريخية، قبل مطلع القرن العشرين، وكان الذي أثارها هم المستوطنون الفرنسيون، ممن ولدوا في الجزائر، والذين أرادوا - بعد انتزاع الأرض منهم، وإرجاعها إلى أصحاب الحق الشرعيين، أن ينتزعوا منه الانتساب إليها، أيضا، فوصفوا أنفسهم بالجزائريين، وكتبوا أدبا أرادوه أن يكون من داخل الجزائر، ويتمتع باستقلالته الكاملة³.

1-4- الإشكالية المشرقية المغاربية بين النهضة والحداثة:

ولا يكاد يخفت السجال حول العلاقة بين المشرق والمغرب حتى يستعر مرة أخرى، بطرح قضايا هذه العلاقة الثقافية الشائكة. فواضح أن المثقفين المغاربة لم يتخطوا مشكلة تاريخية ما زالت تحفر في لا وعيهم الجماعي، تتمثل في غيابهم عن الحركتين الرئيسيتين اللتين شغلنا القرن العشرين: وهما "حركة النهضة"، و"ثورة الحداثة". وفي المقابل، ما برح المثقفون المشرقيون يرون أن هاتين الحركتين اللتين وسمتا القرن المنصرم، هما إرث مشرقي ترسخ في جغرافيا «المركز»، بين القاهرة، وبغداد، وبيروت، وظل المغرب العربي وقفاً على جغرافية «الأطراف»، مثله مثل بلدان الخليج. لا

¹ - نواره لحرش: الأدب المغاربي، جريدة النّصر الجزائرية، 26/12، ماي 2009.

² - أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص: 133، 134.

³ - المرجع نفسه، ص: 138.

شك في أن غياب المغرب العربي عن هاتين الحركتين، جعل المعادلة الثقافية (المشرقية - المغربية) في حال من الاضطراب، وعدم الانصهار، لا سيما أن هذا المغرب، سرعان ما شهد حركة فكرية استطاعت، خلال ما يقارب العقدين، أن توازي الحركة الفكرية المشرقية، بعدما تحررت الحركة الإبداعية العربية الراهنة من وطأة الجغرافية، وباتت تدور في أفق عربي واسع، يضم كل الدول، إضافة إلى المنفى، أو المغترب¹.

وعلى الرغم من صعود نجم الحضور المغاربي، لا سيما في حقول مهمة مثل: الفلسفة الحديثة، والفكر، والترجمة، والنقد الأكاديمي، فما زال بعض المثقفين المغاربة يعانون ما يمكن تسميته بـ "العقدة المشرقية"، وبخاصة، فيما يتعلق بحركتي: "النهضة"، و"الحداثة"، يزيد من استعاره مواقف بعض المشاركة، التي لا تخلو من الغلو في مدح الريادة المشرقية².

لكن ذنب تغيب أو تغيب المغرب العربي عن النهضة والحداثة لا يقع على عاتق المشاركة، فليس من المستغرب أن يغيب المغرب العربي عن كل الأبحاث النقدية والتاريخية الحديثة والمعاصرة، فالمؤرخ الأدبي (حنا الفاخوري)، الذي وضع واحداً من أهم الكتب المرجعية عن الأدب المغاربي، وعنوانه: "تاريخ الأدب العربي في المغرب"، لم يذكر في كتابه الموسوعي: "الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث) سوى اسم الشاعر التونسي النهضوي أبي القاسم الشابي. وها هو أدونيس في كتابه: "الثابت والمتحول"، بأجزائه الأربعة، لم يركز على أي شاعر من المغرب العربي³.

وقد حدا هذا "التغيب"، الذي يخضع لمقياس موضوعي، بالشاعر والناقد المغربي (مُحَمَّد بنيس) بنيس) على إبراز شعراء مغاربة في كتابه الضخم: "الشعر العربي الحديث"، في أجزائه الأربعة، سواء في مرحلة النهضة، حيث أورد في الجزء الذي خصه بما يسميه: "النزعة التقليدية" اسم الشاعر المغربي مُحَمَّد ابن إبراهيم (1897-1955)، المكنى بـ (شاعر الحمراء)، واسم الشاعر المغربي عبدالكريم ابن ثابت (1861-1917)، واسم الشاعر المغربي مُحَمَّد الحمار الكنوني (1941-1991م)، وبات من الممكن الكلام عن شعرية مغربية، انطلاقاً من الجهود التي بذلها - أيضاً - نقاد في تونس والجزائر، ومنهم مُحَمَّد لطفي اليوسفي، وعبد الملك مرتاض⁴.

¹ - ينظر: عبده وازن: الإشكال المشرقي المغاربي بين النهضة والحداثة، الفيصل، شوهدي في أوت، 2019.

² - ينظر: عبده وازن، المقال نفسه.

³ - المقال نفسه.

⁴ - المرجع نفسه.

وعلى الرغم من انفتاح الفاعلين المغاربة على الأدب العربي الراهن، والأدب العالمي، فإنها بدت كأنها تتبنى مشروعا أساسياً، هو بلورة الهوية المغربية ثقافياً وأدبياً وشعرياً، وجعلها هوية عربية، لكنها هوية منفتحة على آفاق فرانكفونية وعالمية، مما يسبغ عليها سمات التفرد والخصوصية¹.

¹ - ينظر: عبده وازن، المقال نفسه.

المبحث الأول

محمد الخضر الحسين مؤرخاً

لأدب الغرب الإسلامي

الخضر الحسين مؤرخاً لأدب الغرب الإسلامي

1- التأريخ للأدب الأندلسي والمغربي:

1-1- علاقة الشيخ الخضر بتراث الغرب الإسلامي:

إنَّ علاقة الإمام الشَّيخ مُحَمَّد الخضر الحسين الجزائري بأدب المغرب العربي علاقةٌ قديمةٌ، ارتبطت بتكوينه العلمي الأول، وعبر مناهج جامعة الزيتونة المكثفة، والصارمة، لشعر المغاربة ونثرهم.

وقد بدت له صورة الأدب المغربي صورةً واضحةً، دراسته في تاريخ الأُمَّة من حيث الأدب والعلم ممَّا حصَّله من إنتاج وإبداع، وكان معلِّماً فكرياً وعلمياً عملاقاً يناظر في المغرب الكبير، فإنَّ فكرة التَّأريخ جزأً أساس من عملية التَّأريخ العام، ذلك أنَّ مناط الوقوف على الحوادث والوقائع إنما هو الوقوف عند مواقف النَّوابغ المتميزين من النَّاس حين استطاعوا أن يوجهوا حركة الزَّمن وفق مقاصدهم وطموحاتهم وأن ييقوا بصماتهم الرَّاسخة عبر مسيرة الإنسان وحركته في الزَّمان والمكان¹.

لقد كان من مهام الشيخ مُحَمَّد الخضر حسين، وهو يحمل أمانة التعريف بأدب الغرب الإسلامي لدى أهل المشرق، أن يلفت أنظار المثقفين العرب، ويوجه اهتمامهم إلى أنَّ هذا الغرب الإسلامي المنسي - أو المتناسى - له تاريخ أدبي وثقافي عريق، وأنَّ له من سمات النهضة الأدبية الحديثة ما يمكنه أن يكون جديراً بأن يعرف وأن يدرس، ثم لأنَّ إشعاع أبناء هذا الغرب الإسلامي ما زال وهاجاً؛ يضيء عقول المشاركة، (كتاباتهم، كونه أحسن وسيط، لما له من إرث استعماري/ استدماري، خاصة ما ارتبط بالترجمة، وتقريب معارف الغرب الأوروبي إلى المشاركة، في مصر والشام والعراق، وأهل الجزيرة.

¹ - أبو بكر مرزوق/ مُحَمَّد الطَّاهِر علَّوي: المختارات الخضرية، شركة دار الأُمَّة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2014، ص: 316، 317.

1-2- علاقة الشيخ الخضر بالأدب التونسي:

تحت عنوان: "الأدب التونسي، وصداه في الشرق - قديما وحديثا، كتب الباحث التونسي أبو القاسم محمد كرو، عن النهضة الأدبية التونسية، وصداه في الشرق قديما وحديثا، من خلال نشاط الشيخ الخضر، وحرصه على التعريف بأدب المغاربة عند المشاركة، فقال، مشيدا بدور الشيخ في ذلك:

".. هذا الخضر حسين، الذي استطاع بضلوعه في الأدب والشعر والبلاغة والعلوم الدينية، أن يتصدى - كما لم يتصد عالم أو أديب غيره - في أكبر معركتين من معارك الأدب والفكر، في مصر العشرينات؛ معركة طه حسين وكتابه: "في الشعر الجاهلي"، ومعركة علي عبد الرازق، وكتابه: الإسلام وأصول الحكم.

إنّ ما يعيننا هنا الآن.. حضوره الأدبي الطويل في مصر (40 سنة).. وما تميز هذا الحضور من إسهام كبير ومتواصل، لا في نهضة مصر الأدبية والعلمية، وفي تطوير أزهرها بالخصوص.. وما قام به من نشاط أدبي وصحفي، ومن إشعاع تونسي في شتى الميادين، ويكفي دليلا على ذلك عدد المجلات التي تولى إدارة تحريرها، فضلا عن مجلاته الخاصة، وأهمها: مجلة "الهداية الإسلامية"، التي عاشت معه، ومع جمعيتها التي تحمل اسمها، مدى ثلاثين عاما، وكانت - كما كان هو - تونس الأدبي والوطني والديني والثقافي، في مصر، وفي أنحاء العالم العربي، هذا فضلا عن عشرات الكتب والمحاضرات"¹.

ثم يركز الباحث على نشاط الشيخ الخضر، عندما نصب نفسه مؤرخا للأدب التونسي، بالتركيز على الحركة الأدبية، والعلمية عموما، وعلى جماعة من علماء تونس وأدبائها، على وجه الخصوص، ممن كان لهم الأثر الفاعل في النهضة الأدبية التونسية. يقول الباحث:

¹ - أبو القاسم محمد كرو: الأدب التونسي وصداه في الشرق قديما وحديثا، الموسوعة، 14: 127، عن مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، تونس، ع.1، 1988.

".. صحيح أن تركيز الشيخ الخضر - من الناحيتين: الأدبية والتاريخية - كان على جماعات الزيتونيين، وخاصة منهم: شيوخه وأصدقائه اللامعين، كعمر بن الشيخ، وسالم بو حاجب، والطاهر بن عاشور، وعلي النيفر.. لكن هذا، بالنسبة إليه، كان أمرا منطقيا؛ بحكم ظروفه، وانقطاع صلاته بتونس إلا مع هؤلاء.

وصحيح أنه قامت بتونس، في مطلع الثلاثينيات، معارضة لأفكاره الأدبية.. موقف الشابي والمهيدي والسنوسي من آراء الخضر الأدبية، لكن من الصحيح - أيضا - أن كتاب الشابي "الخيال الشعري عند العرب" كان، في عمقه الخفي، معارضة لكتاب الشيخ الخضر حسين "الخيال في الشعر العربي"، المطبوع لأول مرة في القاهرة عام 1922، أي: قبل طبع كتاب الشابي بسبع سنوات"¹.

3-1- النموذج للتأريخ الأدبي للغرب الإسلامي عند الشيخ الخضر:

1-3-1- التأريخ للأدب التونسي القديم:

النموذج الأول: (الشعر التونسي في القرن الخامس الهجري):

"نهضة أدبية راقية، ظهرت بتونس في القرن الخامس للهجرة. نهضة أشرقت سماؤها بنجوم زاهرة، وقذفت بحارها بدرر فاخرة، ولهذه النهضة مهيئات ساعدت على نشأتها، وسمو غايتها، وبهجة أثرها.

من مهيئاتها: أن للأدب في القرن الرابع وفي أوائل القرن الخامس سوقا قائمة في الشرق، أعني العراق والشام ومصر، وسوقا قائمة بالغرب كبلاد الأندلس، وموقع البلاد التونسية بين هاتين النهضتين.

من مهيئات تلك النهضة الأدبية: أن القيروان التي هي مبعث نورها كانت دار العلوم بالمغرب، يرحل إليها الطلاب.

وقد ألفت في أخبار القيروان وتراجم علمائها وأدبائها كتب كثيرة.

¹ - ينظر: أبو القاسم محمد كرو: الأدب التونسي وصداه في الشرق قديما وحديثا.

ومن علمائها الذين عاشوا في أواخر القرن الرابع، أو أدركوا بضع سنين من القرن الخامس رجالٌ يشار إليهم بالنيان، مثل محمد بن جعفر الفرار صاحب المؤلفات في اللغة والأدب، وعبد العزيز بن أبي سهل الحشيني، فقد كان من الراسخين في اللغة والنحو.

ومن مهيئات تلك النهضة الراقية أنَّ الشعر التونسي كان له في القرن الرابع جودةً وحسن بيان، ومن حدّاق شعرائه: علي بن عباس الأيادي وهو الذي سجع الحمائم عند فلق الصبح في أبيات قال فيها:

قد ولد الصبح فمات الدُّجى صاحت فلم ندر غنا أم نواح
ازدهار الشعر التونسي في القرن الرابع في تناول بعض السيدات المهدّبات ثل خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري، ومن مهيئات تلك النهضة الراقية بالقيروان مازالت تتقدّم إلى أن أدركت في أوائل القرن الخامس غاية بعيدة.

ومن مهيئات تلك النهضة الأدبية: أنَّ المعز بن باديس الذي تولى الملك سنة 402هـ، كان على جانب عظيم من علوم اللغة وآدابها، فكانت دراسته لأداب اللغة العربية معينة له على تقدير قيمة الشعر، وباعثة له على الاحتفال بنوابع الشعراء: ويحثنا التاريخ: أنَّه كان لا يسمع بشاعر بارع إلا ويدينه من حضرته، حتى اجتمع حول قصره نحو مئة شاعرٍ برأسهم أستاذه ووزيره علي بن أبي رجال.

تجمّعت هذه المهيئات بتونس، فلودت في القرن الخامس نهضةً أدبيةً قلَّ ما تجود بمثلها الأيام، فظهر في مثل هذا العهد رجالٌ أحكموا صناعة القريض ودهبوا في فنونه كلّ مذهب، أوتوا بما يسرعي الأسماع، ويأخذ بالألباب أنَّ الشعر التونسي يساير الشعر الرّاقى في سائر البلاد العربية، ثم تخير الألفاظ المأنوسة الرّشيقة ووضعها في سلك الوثام والائتلاف.

فمن الأدباء البارزين في ذلك القرن: أبو الحسن بن رشيق، وشعره يدور في كتب الأدب كثيرا، ومن بديع شعره، قوله، مخاطبا لشخصٍ كان ابن رشيق قد رجاه في أمر، فساوفه فيه، ثم قطع رجاءه:

رجوتك للأمر المهم وفي يدي بقايا أمني النفس فيها الأمانيا .

ومن أبرز الشهرة في ذلك العصر: ابن إسحاق المعروف بالحصري وهو صاحب كتاب "زهر الآداب" ومن شعره يصف سجع الحمائم في الأسحار.

يا هل بكيت كما بكت ورق الحمائم في الغصون
هتفت سحيرا والربا للقطر رافعة العيون

ومن هذه الطبقة: أبو الحسن علي بن عبد الغني المعروف بالحصري أيضا، ومن شعره السائر في الأندية قصيدته التي يقول في طالعها:

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

وقد وازنها جماعة من الشعراء في القديم والحديث.

ومن هذه الطبقة: محمد بن شرف وشعره كشعره قرينه بن رشيق، يجري في نوادي الأدب كثيرا، ومن أبداع تشايهه قوله:

إني وإن عزني نيل المني لأرى حرص الفنى خلة زيدت على العدم
تقلدتني الليالي وهي مدبرة كأنني صارم في كف منهزم

هؤلاء الأدباء الأربعة: ابن رشيق، وابن شرف، والحصريين، قد طارت لهم سمعة في الشرق والغرب، وترددت أسماؤهم وأشعارهم في كتب الأدب كثيرا.

ومن أهل هذه الطبقة: علي بن حبيب التَّنُوخي الصفاقسي، ومن شعره، يتشوق إلى ليال قضاها عند صديق كناه بـابن حسين.

الأنموذج الثاني: (شعراء تونس):

"دخل أدب اللغة العربية البلاد التونسية مع الفتح الإسلامي، فقد كان في الفاتحين الأولين من يجيد الشعر مثل: أبي الخطار الحسام بن ضرار، والحسن بن حرب الكندي، ونشأ في أوائل المئة

الثانية - من الهجرة أدباء يقولون الشعر الجيد، مثل: عبد الرحمن بن زياد وهو أول مولود ولد للعرب في إفريقيه ومما قاله في بغداد وقد عزم على العودة إلى القيروان :

ذكرت القيروان فهاج شوقي وأين القيروان من العرق
مسيرة أشهر للعبر نصًّا وللخيل المضمرة العقاق

وفي ذلك العهد ولي القيروان يزيد بن حاتم وقصده الشعراء من المشرق مثل مروان بن أبي حفصه.

ويتراءى لنا في المئة الثالثة أدباء يجيدون الشعر، مثل أحمد بن سليمان الربيعي بل نجد فيها أدبيات ينظم الشعر الجيد مثل: ابنه الحسن بن غلبون، ومن شعرها الذي رثت به أخاها غلبون :

يا شقيقاً ليس في وجدي به علّة تمنعني من أن أجن
وإذا تبلّى وجوه في الثرى فكذا يلبى عليهن الحزن
ومن بين أولئك الأدباء، علماء تعلّقوا بعد العلم بصناعة الشعر، مثل "عيسى بن مسكين" فقد كان معدوداً في زمرة الفقهاء الأدباء، ومن شعره قوله أسفاً على عهد الشباب:

لعمري يا شبابي لو وجدتك بما ملكت يميني لارتجعتك
ولو جعلت الدنيا ثواباً بما فيها عليك لما وهبتك

واشتملت المئة الرابعة على أدباء يقولون الشعر الحسن، مثل "زياد بن يونس اليحصبي" و"على بن عباس الأبادي"، و"بن عبدون السوسي"، ومن شعره قوله متشوقاً إلى القيروان:

يا قصر طارق همي فيك مقصور شوقي طليق وخطوي عنك مأسور
إن نام جارك إني ساهر أبداً أبكي عليك وباكي العين معذور

وتناول الشعر في ذلك العهد بعض السيدات المهذبات، مثل خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري وفي هذا العهد ورد القيروان من الأندلس الشاعر المعروف أبو قاسم بن هاني، أما المئة الخامسة، فقد ازدهر فيها الأدب بتونس وأصبح بمنزلة هي منزلته في أرقى البلاد، وأهجم العصور، ومن مهيئات هذه النهضة الفارقة: أن المعز بن باديس الذي تولى الملك بالقيروان في طالعها، المئة الخامسة كان أدبيا بارعا ومعنيا بإكرام الشعراء، وظهر في المئة السادسة أدباء لهم شعر رائع مثل عبد العزيز بن أبي الصلت .

وإذا ألقينا نظرة على المئة السابعة وجدنا للأدب نخضة ذات آثارا مليحة، ومن رجال هذه النهضة عثمان بن عتيق، ومن أسباب نهوض الأدب في هذا العهد أن أمير تونس أبا زكرياء يحيى عبد الواحد، وابنه المستنصر بالله عنيا بنشر العلم والإقبال على الشعراء، وكان أبو زكرياء هذا معدودا من الشعراء وكانت المئة الثامنة عامرة بكثير من الأدباء، ومن أعيانهم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون وأخوة يحيى بن خلدون، أما المئة التاسعة العاشرة فقد انقطعت عنا أخبار أدبائها.

ويرجع الأدب في المئة الحادية عشرة إلى الظهور وأخذ التاريخ يحدثنا عن رجال عاشوا في ذلك العهد وكانت لهم في الأدب أقدام راسخة، مثل الشيخ محمد قناتة وأتصل بأدب المئة الثانية عشرة فكان حظ هذه المئة فوق حظ المئة السالفة، ومن أعيان أدبائها الشيخ حمودة بن عبد العزيز، والشاعران البارعان: أبو عبد الله محمد الوزغي وأبو الحسن علي غراب.

وكان لنهوض الأدب في المئة الثانية عشرة أثر كبير في رواج سوقه في المئة الثالثة عشرة، ومن أدباء ذلك العهد الشيخ محمد الخضار، والشيخ محمود قبادو، وهؤلاء دواوين من الشعر والذي طبع منها ديوان الشيخ محمود قبادو، وهو أول من أخذ ينحو بالشعر نحو ما يقتضيه حال العصر، وممن برعوا في النثر الفني: الأستاذ أحمد أبو الضياف، فقد تولى رئاسة الديوان في عهد الأمير أحمد باي، فصار النثر الجيد بجانب الشعر وهو القرن الرابع عشر - حتى تهيأت في تونس نخضة أدبية محكمة الأساس، فلم تبط أن صارت تنافس نخضة الأدب في البلاد الشرقية¹.

¹ - ينظر: محمد الخضر حسين: الموسوعة، 11: 14.

المبحث الثاني

الخضر حسين وتراجم الغرب الإسلامي

الخضر الحسين مترجما لأدب الغرب الإسلامي

1- تمهيد:

كثيرا ما يحاول الشيخ الخضر في ما كان ينشر من مقالات، أو يكتب من قصائد، أو يؤلف من كتب التعبير عن انتمائه المغاربي، التونسي، خاصة حينما كان في بلاد المشرق، في سورية وفي مصر. ومحاولة تعريف المشاركة بأدب الغرب الإسلامي، قديمه وحديثه، والتعريف بعلمائه ومفكره وأدبائه، لسد تلك الفجوات التي قام الاستعمار بإحداثها حقدا وخبثا، مطبقا في مستعمراته سياسة "فرق، تسد"، بين أبناء الوطن الواحد (الوطن العربي).

ومن هنا أملى واجب الانتماء القومي والديني عند الشيخ الخضر، أن يتولى التعريف بأدب هذا الجزء المنسي من العالم العربي، والتعريف بأبرز أعلامه، من خلال ما كان ينشره من مقالات في حياته الأولى في المجالات التونسية، أو من محاضرات كان يلقيها في معاهد تونس الدينية. مثل كلامه عن جامع الزيتونة، والترجمة لبعض علمائه القدامى والمحدثين، "حيث سلك الشيخ محمد الخضر في ذلك مسلكا دقيقا، وصاغ التراجم صياغة أدبية واضحة مع إبداء لآرائه الشخصية، ونقد ونقد لما لا يراه صحيحا¹."

إن مهمة الترجمة للأعلام مهمة نبيلة لا محالة، عليها يتوقف تخليد الرجال، وحفظ مآثرهم، وصدق الحافظ ابن عبد البر القرطبي (ت. 463هـ) حين يقول، في فضل التأريخ للأعلام:

".. ولو أغفل العلماء جمع الأخبار، وتمييز الآثار، وتركوا ضم كل نوع إلى بابه، وكل شكل من العلم إلى شكله، لبطلت الحكمة، وضاع العلم ودرس، وإن كان - لعمري - قد درس منه الكثير؛ بعدم العناية، وقلة الوعاية، والاشتغال بالدنيا، والكلب عليها، ولكن الله - عز وجل - يقي بقي لهذا العلم قوما، وإن قتلوا، يحفظون على الأمة أصوله، ويميزون فروعه، فضلا من الله ونعمه، ولا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم منه الآخر"².

ولقد تطرقنا في الفصل الأول من هذا البحث إلى الشيخ محمد الخضر حسين، وعرضنا بعض النصوص التي كتبها في تأريخ تراثنا الأدبي (المشرقي)، واستعراض تراجم بعض أعلامه، وسنحاول

¹ - محمد الخضر الحسين: موسوعة الأعمال الكاملة، مقدمة الاستاذ المحامي علي الرضا الحسيني، 7: 57.

² - ابن عبد ربه القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، تح: مسعد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 14.

في هذا الفصل الثاني مقابلة ما أنجزه الشيخ الخضر من تأريخ وترجمة لأدب المشاركة بما أنجزه تأريخا وترجمة للتراث الأدبي المغاربي، بنية محاولة جمع ما تناثر في هذا الموضوع في موسوعة أعماله الكبرى التي جمعها الأستاذ المحامي علي الرضا الحسيني.

2- انموذج الترجمة لأعلام الغرب الإسلامي عند الشيخ الخضر:

1-1- تراجم من العصر القديم:

1-1-2- من التراجم الأندلسية:

ترجمة القاضي: أبو بكر بن العربي¹

يقدمه الشيخ الخضر، فيقول: هو محمد بن عبدالله بن عبدالله بن محمد بن العربي الإشبيلي الأندلسي.

مولده ونشأته:

ولد صاحب هذه الترجمة بإشبيلية، سنة 468هـ، وكان والده عبد الله بن محمد من العلماء الذين أحرزوا في دولة بني عباد حظوة وصدارة، فنشأ أب بكر في بيئة علم وفضل، وفي بيت يتدصل بسياسة الدولة، وذلك مما يهيئ صاحب الفطرة السليمة ذروة المجد كأبي بكر بن العربي لأن ينبغ في العلم، ويسبق إلى ذروة المجد.

بلغ أبو بكر سن التعلم، فأخذ عن أبيه عبد الله، وخاله أبي القاسم الحسن الهوزني، وأبي عبد الله السرقسطي، وقرأ القراءات، وأخذ حظا عظيما من العلوم العربية وآدابها، ونقل عنه أنه قال: لم أرحل من الأندلس حثا حكمت كتاب سيبويه.

¹ - ينظر: محمد الخضر حسين، الموسوعة، 7: 115-122.

إقباله على نشر العلم:

صرف صاحب الترجمة من القضاء، وانتقل إلى قرطبة، وأقبل على نشر العلم غير آسف على القضاء، وكان يقول: "إنَّ القاضي، إذا ولي القضاء عامين، نسي أكثر مما كان يحفظ، فينبغي له أن يعزل، وأن يتدارك نفسه".

وكان صاحب الترجمة منقطعاً للبحث والمطالعة، حتى إنه كان يضع الكتب عن يمين الفراش ويساره، ولا يطفئ المصباح، وإطاً غلبه النوم، نام، ومهما استيقظ، مد يده إلى كتاب.

رسوخه في العلم:

قد عرفنا أن أبا بكر قد درس علم الأدب قبل رحلته، وقأناً من رحلته: أنه قرأ الأدب على التبريزي، ثم إنَّ من ينظر في الجمل البليغة التي تجيء في مؤلفاته، يدرك أنها صادرة من أديب جال في منظوم البلغاء، ومنثورهم جولة واسعة، وله شعر جيد، ولا ولا ينتظر ممن يقضي الوقت في بحث العلوم، ودراستها أن يأتي من الشعر بمثل ما يأتي به أبو تمام وابن الرومي.

رأيه في طريقة التعليم:

يرى أبو بكر تقديم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، ثم ينتقل منه إلى درس الحساب، ثم ينتقل منه إلى درس القرآن، ثم ينظر في أصول الدين، ثم في أصول الفقه، ثم الجدل، ثم الحديث وعلومه.

ومن رأيه: أن لا يخلط في التعليم علمان إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط، وأنكر على علماء بلده الذي ياخوذون الصبي في أول أمره بكتاب الله، حيث إنه يقرأ ما لا يفهم.

قال ابن خلدون: وهو - لعمرى - مذهب حسن، إلا أن العوائد لا تساعد عليه، ثم قال: ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إثارة للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن؛ لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ، وانحل من ربة القهر، فرمما عصفت به رياح الشبيبة، فألقته بساحل البطالة.

ولو أعطي جانب من اوقات الطفل إلى تعلم القرآن، وجانب منها إلى أخذ مبادئ من علم الحساب، وعلوم اللغة، ومختارات من الشعر، لكان خيرا.

2-1-2- من التراجم المغربية

(ترجمة عبد الرحمن بن خلدون):

يقول الشيخ الخضر في مقدمة الكتاب (المحاضرة) المعنون بـ: (حياة ابن خلدون، ومثل من فلسفته الاجتماعية)، ما نصه:

".. ورأيت أن أفتح المحاضرة بمبدأ نشأته، وأنتقل في المهم من أطوار حياته مراعيًا ترتيبها الطبيعي، ثم أسوق جملة من فلسفته التي طويت صحائفها في خزائن كتبنا أحقابا، ودرسها الأجني، الأجني، ثم ضرب لها في القارة الأوروبية أمثلة تشهد بصحتها.."¹.

نسب ابن خلدون:

هو ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي. ويصل هذا النسب إلى وائل بن حجر الصحابي الذي وفد على النبي (ﷺ)، فبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له.

ذكر ابن خلدون نسبه على هذا النسق، وقال: لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة.

نشأة ابن خلدون في تونس:

في هذا البيت - الذي تقلب رجاله في أطوار خطيرة، ثم بسط فيه العلم أشعة باهرة - ولد أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، في غرة رمضان سنة 722هـ، فكانت نشأة ابن خلدون في أسرة

¹ - محمد الخضر حسين: حياة ابن خلدون، ومثل من فلسفته الاجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة (2012)، ينظر: المقدمة.

امتطت ذرى الرياسة، وخفق فيها العلم والأدب؛ مما ساعد ذكائه الفطري على أن يشتغل بشدة، وجعل نفسه الزكية بمقربة من الهمم العالية.

نشأ ابن خلدون، وكانت رياض العلم في مدينة تونس زاهية، وسوق الأدب نافقة، فاستظهر القرآن، وتلقى فن الأدب عن والده، ثم اقبل يجتني ثمار العلوم بشغف، ويتردد على مجالسة العلماء الراسخين، مثل: قاضي القضاة، محمد بن عبد السلام، والرئيس أبي محمد الحضرمي، والعلامة الآبلي، ولم يكد يستوفي سن العشرين حتى تجلت عبقريته، واستدعاه أبو محمد بن تافراكين - المستبد وقتئذ - إلى كتابة العلامة عن السلطان أبي إسحاق، وهي: "الحمد لله والشكر لله"، تكتب بالقلم الغليظ ما بين البسملة، وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم. وهذا مبدأ دخول ابن خلدون في حياته السياسية.

المراسلة بينه وبين ابن الخطيب:

بعث إليه الوزير ابن الخطيب من غرناطة، برسائل يشكو فيها مضض النوى ويتلهف على عهد اللقاء. وقلوب الأصدقاء قلما تتصدع بحزازات الوشاية، وتعود إلى عنفوان ودها الصميم. ولكن الرقة الدافقة على ذوق ابن الخطيب، والأدب المنسجم في مزاج خلقه الرصين، ذهباً بأثر ما سعى به إليه قوم لا يفقهون، ونهضا به إلى تأكيد صداقة انتظمت بينه وبين رجل يدانيه علما وأدبا، ويضاهيه في طرق التفكير والعمل ليرقى نظام الاجتماع.

وإذا كانت الرسائل مثالا لمنهج الرجلين في المحاورة ساعات اللقاء، فإن هذه الرسائل تنبئك أن المجالس التي كانت تعقد بين هذين الوزيرين الخطيرين لم تكن مضمار علم وأدب فقط، بل كانت ممتعة بالنظر في الشؤون السياسية الداخلية والخارجية، فقد أتى ابن الخطيب في بعض هذه الرسائل على تفاصيل من أحوال الدولة بغرناطة، وألم فيها بأبناء عن دولة الإسبان في إشبيلية، وكذلك تجد ابن خلدون تعرض في الجواب عن تلك الكتب لحوادث دول شتى، فنسق فيها قسط من الحديث عن شؤون دول تونس والجزائر والمغرب الأقصى والحجاز ومصر. ولو أن علماء الإسلام أخذوا في هذا السبيل أينما كانوا، ومدوا جانبا من عنايتهم إلى الاطلاع على تصارييف الدول، ومجاري سياستها، لبلغوا منتهى السؤدد، وبرءوا من تبعة وقوع الشعوب الإسلامية في هذا البلاء المبين.

تصنيف ابن خلدون تاريخه ومقدمته: ما برح ابن خلدون منقطعا لبث العلم حتى بدا لإبي حمو أن يبعثه سفيرا إلى الدوتودة: ليرأواضهم إلى طاعته، ويجمعهم على ولائه، فلبى طلبه في الظاهر، وخرج، وهو يسر في نفسه أن لا يعمل لهذا السبيل بعلّة أنه أصبح يعز عليه بذل شيء من أوقاته في غير الوجهة العلمية. ولعله سئم التدخل في السياسة التي قد تلتوي به مع أهواء الأمراء، وتحمله على أن يسعى في استنجد القبيلة لمن كان يغريها عليه.

ولما وصل إلى البطحاء ، ولّى وجهه عن ناحية الدواودة، جانبا، وثنى عنانه إلى أولاد عريف، بأنزلوه بقلعة أولاد سلامة، وأقام بينهم أربع سنين في جو هادئ، وبيئة لا تجيش فيها مراحل الحسد، ولا تنفث فيها الوشاية سما ناقعا. وفي هذه السنين - التي كانت مهبط السكينة، وصفاء الفكر، وارتياح الضمير - شرع في تأليف تاريخه الفائق، ولذلك الحين، أتم مقدمته على نسجها الحكيم، وتحقيقها البديع.

ابن خلدون والوزير ابن زمرك: وبعد أن قضى ثلاث سنين عاكفا على التدريس والتحرير، خرج لقضاء فريضة الحج سنة 789هـ، وقفل راجعا إلى القاهرة، واتصل حين بلغ الينبع بكتاب يحتوي على شعر ونثر، راسله به لأبو عبد الله بم زمرك، وزير السلطان ابن الأحمر، صاحب غرناطة، ولجودة نظمه وصفاء ديباجته بحيث يسوغ لنقاد الأدب أن يضعوه بالمكان الأسمى من شعره، ويقضوا له بالسبق في حلبة البلاغة، رأينا من اللائق بهذه المحاضرة أن نخلي جيدها بطوق من فرائده. ومما يقول في اوائل هذه القصيدة:

ويا زاجري الأظعان وهي ضوامر	دعوها ترد هيماء عطاشا على نجد
ولا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا	فإن زفير الشوق من مثلها يعدي
براهها الهوى بري القداح، وحطها	حزون على صفح من القفر ممتد
عجبت لها، أنى تجاذبني الهوى	وما شوقها شوقي ولا وجدها وجدي
لئن شاقها بين العذيب وبارق	مياه بفيء الظل للبان والرنند
فما شاقني إلا بدور خدورها	وقد لحن يوم النفر في قضب ملد
وكم صارم قد سل من لحظ أحور	وكم ذابل قد هز في ناعم القد
خذوا الحذر من سكان رامة، إنها	ضعيفات كسر اللحظ تفتك بالأسد

واسترسل في هذا الطراز البديع والنسيب الساحر حتى تخلدص إلى خطاب ابن خلدون:

إليك - أبا زيد - شكاة رفعتها	وما أنت من عمرو لدي ولا زيد
بعيشك خبرنين ولا زلت مفضلا	أعندك من شوق كمثل الذي عندي
فكم ثار بي شوق غليك مبرح	فظلت يد الأشواق تقدح من زندي
يقابلني منك الصباح بوجنة	حكى شفقا فيه الحياء الذي تبدي
وتوهمني الشمس المنيرة غرة	بوجهك، صان الله وجهك عن رد
محيالك أجلي في العيون من الضحى	وذكرك أحلى في الشفاه من الشهد

وأطرد في هذا النسق المعبر عن الوداد المحض والشوق الطافح، وبلوغ الشعر في جودته إلى هذا الحد مما ينبه على رفعة منزلة ابن خلدون في نفس الوزير ابن زمرك، إذ الشاعر، وإن كان مفلقا لا يطيل نفس الشعر، ويرتقي في إبداعه إلى هذا المظهر إلا عن داعية تزعج قريحته، وتأخذ بمجامع عنايته، وليست الداعية في هذا المقام سوى الإعجاب بكمال ابن خلدون، والحنين إلى حدائق آدابه الزاهرة.

أخلاق ابن خلدون:

يمكن للنّاظر فيما اقتسمناه من سيرة ابن خلدون، أن يشهد ببعض خصال سامية، كعلو الهمة، ورقة الحاشية، وقلة المبالاة باقتحام المصاعب والأخطار، وقد وصفه لسان الدين بن الخطيب في كتاب الإحاطة ببعض أخلاق شريفة إذ قال: هو حسن الخلق، جم الفضائل، ظاهر الحياء، وقور المجلس، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوي الجأش، طامح لفقن الرئاسة، جواد، حسن العشرة، عاكف على رعي خلال الأصالة.

ووصفه الوزير أبو عبد الله بن زمرك في قصيدته المومأ إليها آنفا بشدة الحياء، إذ قال:

يقابلني منك الصباح بوجنة	حكى شفقا فيه الحياء الذي تبدي
--------------------------	-------------------------------

وبحسن الخلق إذ قال:

لقيتك في غرب وأنت رئيسه وبابك للأعلام مجتمع الوفد
فأنست حتى ما شكوت بغربة وواليت حتى لم أجد مضض الفقد
وعدت لقطري شاكر ما بلوته من الخلق المحمود والحسب العد

مكانته في العلم:

أنبتت المعاهد العلمية الإسلامية من فحول العلماء رجالا لا تحيط بهم اقلام الحاسبين، ولكن الرجال الذين يتسمنون في العلم الذروة القصوى، وتتفجر قرائحهم بمدارك فائقة، فيخرجوها للناس في أسلوبه الحكيم، ليسوا بكثير، من هذه الطائفة العزيزة المثل أبو زيد بن عبد الرحمن بن خلدون.

كان بعيد الشأو في العلوم الشرعية والعربية، خبيرا بالعلوم النظرية، ضليعا في الفنون الأدبية ويشهد له بالرسوخ في العلم الكتب التي درسها، مثل: تهذيب البرادعي في الفقه، ومختصر يابن الحاجب الأصلي والفرعي، وكتاب الموطأ، وصحيح مسلم، وغيرها من الأمهات في علم الحديث، وكتاب التسهيل لابن مالك في النحو.

وأخذ العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكيمة والتعليمية عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلبي.

وحسبكم شاهدا على تقدمه في هذه العلوم النقلية والعقلية مقدمة تاريخه التي أمتع فيها البحث عن حقائق هذه العلوم وفلسفتها على طراز لا يبتكره إلا من مارسها على بينة من أمرها، وتوغل في أحشائها.

وأضاف إلى ثقافة الفكر والتبريز في الفهم قوة الحفظ، فكان يحفظ القرآن الكريم، والمعلقات، وديوان الحماسة، وشعر حبيب، وقطعة من شعر المتنبي، وسقط الزند، وطائفة من أشعار كتاب الأغاني، وغير ذلك من المنظومات العلمية.

مؤلفاته:

أتى ابن الخطيب في كتاب الإحاطة على بعض مؤلفات ابن خلدون، فقال: شرح البردة شرحا بديعا، دل به على انفساح ذراعه، وتفنن إدراكه، وغزارة حفظه، ولخص كثيرا من كتب ابن رشد، وعلق للسلطان - يعني ابن الأحمر - أيام نظره في العقليات تقييدا مفيدا في المنطق، ولخص محصل الإمام فخر الدين الرازي، وألف كتابا في الحساب، وشرع في هذه الأيام فس شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال.

وقال صاحب نفح الطيب، بعد نقل ما جاء في الإحاطة من تعريف بابن خلدون: هذا كلام لسان الدين في حق المذكور في مبادئ أمره وأوسطه، فكيف لو رأى تاريخه الكبير.

ومما قاله المقرئ في وصف مقدمة هذا التاريخ: "وإنه لعزيز لن ينال مجتهد مثالها: إن هي إلا زبدة المعارف والعلوم وبهجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبيء على أصل كل موجود، بلفظ أبهى من الدر النظيم، وألطف من الماء مر به النسيم.

ورام الشيخ ابن حجر أن يبخر كل أثر له حتى هذه المقدمة، فقال في كتاب "رفع الإصر"، بعد حكاية كلام المقرئ: وما وصفه به فيما يتعلق بالبلاغة والتلاعب بالكلام على الطريقة الجاحظية فمسلم، وأما ما طراه به زيادة على ذلك، فليس الأمر كما قال إلا في بعض دون بعض، إلا أن البلاغة تزين بزخرفها حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن.

وقد نقلت هذه المقدمة إلى لغات أخرى من تركية، وإيطالية، وفرنسية، فكانت أحد الآثار العربية التي شهد بها الغربيون كيف يرتقي الفكر الناشئ في معاهد العلوم الإسلامية، حتى يتسنى له أن يبحث في نظم الاجتماع وطرق الإصلاح، على وجه بديع، واسلوب حكيم.

ومتى صح أن النابعة لا يبدع في فن من فنون النظر ويطيل فيه النفس إلى الأمد الأقصى إلا أن يتقدمه سلف يكون كواضع الأساس، أو يحظى بصحبة من ينسج في البحث والمحاورة على منوال ذلك الفن، فإننا لم نر من الرجال الذين لقيهم ابن خلدون من يصح أن يكون مساعدا له على هذا المسلك الفلسفي الاجتماعي غير لسان الدين بن الخطيب، ولهذا كان ابن خلدون ينوه بشأنه، ويشيد بذكره، أينما حل.

قال الشيخ إبراهيم الباعوني الشامي - فيما رآه صاحب نفح الطيب بخطه: وكان "يعني ابن خلدون"، أكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب، ويورد من نظمه ونثره، ما يشنف به الأسماع، وينعقد على استحسانه الإجماع، وتتقاصر عن إدراكه الأطماع.

شعره:

يعد ابن خلدون في قبيل الشعراء المجيدين، ولكن انكباه على مدارس العلوم، وقلة غدو قريحته ورواحها على النظم عاقه عن أن يبلغ في إتقان نسجه والإبداع في فنون التخيل مبلغ المشهود لهم بالتفوق في هذه الصناعة.

وقد اعترف هو نفسه بما يجده من استصعاب الشعر عليه، وبعد مأخذه منه عندما يحاول نظمه. قال في مقدمة تاريخه: ذاكرت يوما صاحبنا أبا عبدالله بن الخطيب، وزير الملوك بالأندلس، من بني الأحمر، وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة، فقلت له: أجد استصعابا علي في نظم الشعر متى رمته، مع بصري به، وحفظي للجيد من الكلام، من القرآن والحديث، وفنون من كلام العرب، وإن كان محفوظي قليلا، وإنما أتيت - والله أعلم - من قبل ما حصل في حفظي من الأشعار العلمية والقوانين التأليفية، وعدد جملة من محفوظاته، ثم قال: فامتألاً حفظي من ذلك، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث، وكلام العرب، فعاق القريحة عن بلوغها. فنظر إلي ساعة، معجبا، ثم قال: لله أنت، وهل يقول هذا إلا مثلك؟

ولصفاء فطرته وسلامة ذوقه، قد يدرك شعره مع تلك العلة التي أوما إليها غاية بعيدة في الإيجاد. ومن مثله الرائقة قصيدته التي أنشدها سلطان المغرب، ليلة الميلاد النبوي، عام 763هـ، وافتتحها بقوله:

أسرفن في هجري وفي تعذيبي وأطلن موقف عـبرتي ونحيبي
وابين يو البين ساعة وقفة لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

ومنها:

يا سائق الأظعان تعتسف الفلا وتواصل الإسـآد بالتأويب
متجافيا عن رحل كل مذل نشوان من أين ومس لغوب .

إن هام من ظمإ الصبابة صحبه نهلوا بمورد دمعهم المسكوب
أو تعترض مسراهم سدف الدجى صدعوا الدجى بغرامه المشبوب
هلا عطف صدورهن إلى التي فيها لبانة أعين وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب مأمنا يكفيك ما تخشاه من تريب
حيث النبوءة آيها مجلوة تتلو من الآثار كل غريب

ومن أجود شعره وأعلاه مطلقا في البلاغة قوله، في قصيدة يهمني بها أبا حمو بعيد الفطر:

هاذي الديار فحيهن صباحا وقف المطايا بينهن طلاحا
لا تسأل الأطلال إن لم تروها عبرات عينك واكفها ممتاحا
فلقد أخذن على جفونك موثقا أن لا يرين مع البعاد شحاحا
إيه على الحي الجميع وربما طرب الفؤاد لذكرهم، فارتاحا

وتعرض الشيخ ابن حجر لشعر ابن خلدون، وقال: إنه لم يكن ماهرا في النظم، وكان يبالغ في كتمانته، مع أنه كان جيدا لنقد الشعر، وعدم مهارته في الشعر مسلّم؛ على أنه لم يصل إلى درجة من أفرغوا جهدهم في هذه الصناعة، وأصبحوا لا ترى تراجمهم إلا في طبقات الشعراء. وقد أريناك من شعره مثلا يشهد بأن له قوة شاعرية فطرية؛ وهو المثل الأعلى لشعر من انصرف بجمته إلى التطلع من العلوم النقلية والنظرية، ثم مدّ يده إلى الشعر على وجه التحلي بفن من فنون الأدب الجميلة.

أيها السادة:

هذه كلمات في حياة الفيلسوف التونسي عبد الرحمن بن خلدون، ألقيناها على مسامعكم رجاء أن يأخذ منها طلاب العلم بالأزهر الشريف عبرة، حتى ترى منهم أوطانهم بعد العودة أمثال ابن خلدون في علمه وتفكيره، وما ذلك على الله بعزيز¹.

¹ - محمد الخضر حسين: حياة ابن خلدون، ص: 11 - 32.

1-2- ترانجم من العصر الحديث:

1-2-2- من الترانجم التونسية:

1-1-2-2- ترجمة الشيخ محمود قبادو:

في مقال للشيخ الحضر تحت عنوان: (نظرة في أدب الشيخ محمود قبادو التونسي)، بدأ الشيخ الكلام عن شخصيته المتميزة، فقال:

"أول أديب تونسي نحا في جانب شعره نحو إصلاح الاجتماع والسياسة، وبني على وسائل الرقي، وحذر من الإخلاء إلى الخمول هو المرحوم الأستاذ محمود قبادو. تلقى الشيخ مبادئ علم النحو في تونس، ثم سافر إلى طرابلس الغرب، وبقي بها سنين عرف فيها بجودة الشعر، ثم عاد إلى تونس، وجلس للتلقي عن بعض الشيوخ مثل الشيخ أبي عباس أحمد بن الطاهر، ونذب لتعليم بن السيد سليمان كاهية، أحد كبار رجال الدولة، ثم ارتحل إلى الأستانة، ونظم يوم خروجه قصيدة يقول في مطلعها¹:

أسمعت يوم البين خفق فؤادي أم كنت مشغولاً بصوت الحادي

ومكث في الأستانة سنين، ورجع إلى تونس فقال في قصيدة :

رعى الله أياما لنا ولياليا	سعيينا بها للمجد والدهر مسعد
تطارحني الآمال وهي مطية	وتغضي جفون النائبات، وأسهد
ليالي لم أذمم بها شقة النوى	ولولا اغترابي، كنت أثني وأحمد
قضيت بأرض الروم منها مآربا	وعدت لأرض كان لي فيها مولد
وما عن قلبي وليت عنها ركائي	ولكنها الأوطان للحر أعود
طويت لها البيداء، بين مهامه	ويممت لج البحر، والبحر مزبد

وتقعد بعد عودته إلى تونس للتدريس بالمدرسة الحربية، وكان له يد في تربية تلاميذها على الآداب الإسلامية، وقيامهم على اللغة العربية.

¹ - علي رضا الحسيني المحامي: تونس وجامع الزيتونة، ضمن الموسوعة، 11: 102.

ثم تولى سنة 1285 هـ خطة الفتوى، وصار عضوا بالمحكمة الشرعية. وما زال يقوم بالتدريس في جامع الزيتونة، ويقضي حق الإفتاء بالمحكمة إلى أن أدركته المنون، فتوفي في 3 رجب سنة 1288 هـ.

كان الأستاذ سليم القلب، لا يحمل لأحد حقدا، وإذا اغبر صدره من أحد تعرض له بمكرهه، فأول معذرة، أة كلمة يحاول بها استرضاءه، تذهب بكل ما في نفسه، وقد تحدث في شعره عن حاله مع بعض حسّاده، ودل على أنه كان يقابل سعاياتهم بالإعراض عنها، والاعتماد في دفع شرها على من يده فوق كل يد. ومما جاء في هذا المعنى، قوله:

كم أوغروا من صدور باختلاقهم	وغَيَّرُوا من حميم زال إذ زعموا
وأشردوا عن علومي جد مقتبس	وما لحرب حسود يرتجى سلم
ولو جزيتهم عن سيئاتهم	بمثلها لم أكن بالظلم أئتم
لكنني صنت نفسي عن مواردهم	وقلت: حسي فيهم من هو الحكم

وإذا كان شعر الرجل يدل على جانب من أخلاقه، وآدابها، لم تلبث أن تشهد للشيخ قابدو عندما تلقي نظرة على ديوانه، بأنه كان ممن يحافظ على حقوق الصداقة، أو لا تأخذه جفوة في بعض الأحيان. ومما قاله في بعض قصائده:

أنكث جبل الود بعد توافق ولي حيلة في حمل بادرة الصحب

وقال:

إذا ظفرت كفاك يوما بصاحب	فأودعه في جفن الرعاية والهذب
وخذ منه عفو القول والفعل، واطرح	مرء ولوما حين ينبو وإذ يني
وحرره عن رق التكليف، تلقه	أخا مسترقا ذا انتداب إلي الحب

ثم قال:

فلا راحة إن قوبل الذنب بالجفا ولا سؤدد إن جوزي الذنب بالذنب

حكمة وموعظة :

للأستاذ قبادو حكم سامية ترد في أثناء قصائده، كقوله:

وما خسر الإنسان وجهه سعادة إذا من فنون العلم وفر سهمه

وقوله فيها:

لعمري ليس المبيت من أودع الثرى ولكن مطيق للغنى بان عدمه

وكقوله في قصيدة أخرى

وفي الناس من عدّ الهوان تواضعا وعدّ اعتزاز النفس من جهله كبرا

وقوله في قصيدة أخرى:

هل العزّ إلا في أطراح المراتب ومن كدّرت أطماعه نهر فكره
وصون الحيا من سواد المطالب طفا فيه من أقذائها كل راسب

وقوله في قصيدة أخرى:

لم تطبع الدنيا على شكل الوفا عش ما تشاء بهان فإنك ميت
وسل الثرى كم من نواصي عفرت وبدور تم قد هوت لرغامه
فعلام في قلب الحقائق يطمع واحبب بها من شئت، فهو مودع
فيه، وكان الميك منها يسقط كات منازلها الصياصي المنع

وقوله في أخرى:

لا أرى الموت غير موت نفوس وئدت في مقابر الأبدان

شعره الاجتماعي والسياسي:

يصح للمؤرخ أن يقول: إن أول شعر ظهر في تونس يدعو إلى مجارة الغربيين في العلوم والفنون والصنائع، وأول شعر كان مظهر الأسف على ما وقع فيه المسلمون من إهمال الاستعداد لخصومهم، وأول شعر يرمي إلى أغراض سياسية عالية، هو شعر الأستاذ محمود قبادو، فانظر إلى قوله في بعض قصائده:

وكل فنون العلم للملك نافع	ولا سيما ما سائر الملك حكمه
أرى الملك مثل الفلك تحت رئيسه	عويذا إلى الأعوان فيما يؤمّه
فذلك نوتي بعين بفعله	وأخر جريت قصاراه علمه
ومقصده جري السفين وحفظها	ليسلم كل أو ليعظم غنمه
أركب هول البحر دون مقاوم	وفي طيه حرب كما يؤذن اسمه
لذاك ترى ملك الفرنج مؤثلا	بعلم من الأيام، يمتد يمه
ومملكة الإسلام يقلص ظلها	وينقص من أطرافها ما تضمه
على أنها أجدى وأبسط رقعة	وأوسع إقليما من الطبع عظمه

إلى أن يقول:

فمن لم يجس خيرا أوربا وملكها	ولم يتغلغل في المصانع فهمه
فذلك من كن البلاهة داجن	وفي مضجع العادات يلهمه حلمه .
ومن لزم الأوطان أصبح كالكلا	بمنبته منماه ثمّة حطمه
هم غرسوا دون التمدن فرعه الـ	رياضي والعلم الطبيعي جذمه
أجمل يا أهل الحفيظة انهم	ييزوننا علما لنا كان فخمه

ورمى في مديحه إلى غرض سياسي، كقوله، في وصف بعض الوزراء:

تراه فلا تدري لإفراط بشره تودُّد أم داري لأمر يهْمُه

وكانت الحكومة التونسية اتخذت قانوناً أقامته على أصول الشرع وأسمته: عهد الأمان، فنظم شاعرنا قصيدةً في ذلك، ومدح المشير الصادق باشا على إقامة المجالس لإجرائه، ومما قال فيها يتحدث عن الدولة:

لما رأيت مصباح شرع محمد بتلاعب الأهواء ذا خفقان
جعلت له القانون شبه زجاجة لتقيه هب عواطف الطغيان

وإذا لم يطلق الأستاذ العنان في هذه الأغراض الاجتماعية والسياسية، كما يطلقه فيها كثير من شعرائنا اليوم، فلنه عاش في عهد ما زالت أمته تتمتع فيه بنعمة استقلالها، ولو نشأ في عهد راي فيه بعينه كيف وقع زماو أمته في يد غير وطنية، لكان لشعره في شؤون الاجتماع والسياسة أفسح مجال.

براعته في التشطير:

عنى صاحب الترجمة بتشطير أبيات أو قصائد مشهورة، فيحسن وصل صدر الأصل يعجز، أو عجزه يصدر من عنده، حتى يخيل إليك أنهما انحدار من قريحة واحدة، تدرك هذا في تشطيره لقصيدة بشر المعروفة: "أ فاطم لو شهدت بطن خبت"¹.
انظر إلى تشطيره البيت الرابع منها، وهو مع التشطير،

(أنل قـدمي ظهـر الأرض إني) أرى قـدمي للإقدام أحـرى
ولست مزحـحي شيئا، ولكن (رأيت الأرض أثبت منك ظهرا)

ثم إلى تشطير البيتين: السابع والثامن، وهما مع التشطير:

¹ - علي رضا الحسيني المحامي: تونس وجامع الزيتونة، ص: 107.

نصحتك، فلتمس يا ليث غيري فلي بقيا عليك، وأنت أدرى
ومهري قائلًا لك لا تخلني (طعامًا، إن لحمي كان مرا)
(ألم يبلغك ما فعلته كفي) ألسنت ترى بها الأظفار حمرا
ألم تك طاعم أشلاء فتكي (بكاظمة، غداة قتلت عمرا)

ثم انظر إلى تشطير البيت الخامس عشر، وهو مع التشطير:

(فقلت له: يعز علي أني) أراك معفرا شطرا فشطرا
وأستحي المروءة أن تراني (قتلت مناسبي جلدًا وقهرا)

استعماله الألفاظ الغريبة :

يعذب الشعر، ويقع موقع القبول متى كانت كلماته مأنوسة الاستعمال، فالشاعر الذي يستطيع التأثير على النفوس، فيجعلها راغبة في الشيء، أو نافرة منه، ولا سيما شعرا يخاطب الجمهور، هو الذي يتخير الألفاظ الدائرة في كلام البلغاء، فتقع معانيه في الأذهان عندما تطرق ألفاظه الآذان، وعلى هذا المنوال، ينسج شاعرنا في كثير من شعره ولا ييالي في جانب منه أن يستعمل الألفاظ الغريبة، وربما نظم البيت الواحد في سهولة وحسن تأليف، ويضع فيه كلمة غريبة يحتاج أكثر الأدباء في فهمها إلى مراجعة المعجمات، كقوله في قصيدة يرثي بها شيخ الإسلام الشيخ محمد بن الخوجة:

والنَّاس بالآجال سفر رواحِل والدَّهر عاد لا يريح وسوَجُه
واحذر مفاجأة المنايا للمني واقنع برشف علاله مذلولجِه

وقوله:

أنفاسنا ونفوسنا ما بين مقـ صور الهوى ومديده منعوجـه

ولعلَّ عذره في استعمال الألفاظ العربية أنَّ الشعرَ لذلك العهد إنما يدور في مجالس أهل العلم، ولو أدرك العصر الذي كثرت فيه الصُّحف، وأصبح فيه الشعر معدوداً من الطُّرق المسلوكة لتنوير أفكار الجمهور وتهذيب أخلاقهم لتحامي أمثال هذه الألفاظ التي تحتاج في فهم معانيها إلى معجم أو راسخ في علم اللغة.

2-2-2- من التراجم الجزائرية:

2-2-2-1- شخصيات من خلال الرحلة الجزائرية

أدرك الشيخ محمد الخضر حسين ما للرحلة من فوائد، يجنيها صاحبها، ويجنيها من يرحل إليهم، إليهم، كما يجد فوائد لها من يقرؤها من بعده، أو يجد محفزاً لأن يسلك طريقه في الاستكشاف، والتعرف إلى الآخرين. ولقد أشار الشيخ الخضر إلى مزية الرحلة بقوله: "... أرى كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة، وهياً لهم وسائلها، لا يقبلون عليها، وينصرفون عنها انصرفهم عن الأشياء التي يرونها خالية من كل فائدة ولذة. على أني أريد التنبيه لما في الرحلة من فوائد؛ ولأضعها أمام نشئنا، حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة من حرج وعناء، نظروا إلى هذه الفوائد، فيخف وزن تلك المتاعب، وتذهب أمام أنظارهم غير محتفل بها"⁽¹⁾.

كانت للشيخ الخضر جولة إلى أرض الآباء والأجداد الجزائر، فقد قام برحلته الأولى إليها في سنة (1321هـ / 1903م)، أين زار مدن الشرق دون أن يصل إلى الجزائر العاصمة. وفي السنة التي تليها، عاد إليها، في شهر رمضان (سنة 1322هـ / 1904م)، زار خلالها أمهات مدنها، التي لم يتمكن من زيارتها أثناء رحلته الأولى، حيث شارك في المجالس الأدبية والدينية، وزار المعالم الثقافية في الجزائر العاصمة².

2-2-2-2- نموذج من رحلة الخضر حسين الجزائرية:

"باتنة: فوصلنا في الساعة الثامنة مساءً، وبعد أن وضعنا أوزار الأتاعب، تجولنا في شوارعها، فإذا هي فسيحة العرض، متناسقة البناء، منورة بالكهرباء، وفي أثناء المطاف قال لي رفيقنا المذكور: إني أعرف هنا رجلاً من أهل العلم والأدب، فقلت: تلك الضالة التي ننشدها في مثل هاته الليلة، اسع بنا أن نروح الخواطر بأسماره. فمضينا حتى انتهينا إلى محل معد للتجارة، فوجدنا جماعة جالسين

¹ - محمد الخضر حسين: الرحلة الجزائرية: 11، ص: 6.

² - محمد سيف الإسلام بوفلاقة: التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس» للدكتور محمد صالح الجابري.

جالسين على شكل نصف دائرة، فلما رأونا، انتفضوا قائمين، وعلى وجوههم نظرة البشر والابتهاج، وعلى تحيتهم طلاوة الأدب واللطافة، فكان ذلك براعة استهلاك لما ينبغي ملاحظته في ذلك المنتدى، واتفق أن كان من زمرة هؤلاء الفضلاء: الشيخ أحمد البوعوي¹ المشار إليه، والشيخ إبراهيم بن السلمي، ولكل منهما فصاحة منطق، وسجية نزاعة للأدب، ولأولهما شعر جيد، فقضينا في السمر مقدار ثلاث ساعات، كانت لتلك الليلة نطقاً جميلاً. ولما أزمعنا الانصراف، ووقفنا موقف الوداع، تكدرت خواطرهم؛ لانصداع إيوان تلك المؤانسة، وتقطع أسبابها، فآلقوا على مسامعنا عبارات يتمشى التحسر والتأسف في مناكبها، فقلنا لهم: العود أحمد، وأنشدنا لهم:

لا تأس يا قلب من وداع فإن قلب الوداع عادوا

وبعد صلاة الظهر تنقلنا إلى الجامع الكبير، فالتقينا بالشيخ عبد الحليم بن سماية²، فغمرنا بنفحات خلقه الناضر، واختلب ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر، ولم نلبث معه عند هذه الملاقاة إلا مدة قصيرة لأمر عارض حال بيننا وبين استطالة الجلسة.

¹ - الشيخ أحمد البوعوي: عالم وأديب من تلامذة الشيخ ابن باديس. من شعره: قصيدة ألقاها في احتفالية ختم الشيخ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم، ختمها بقوله:

وإن الشعر ممن عاش قـرنا لكال هـذان في الطفل الصغير
ولو عاد الشباب إلي يومنا لقمت مقامات الفرزدق أو جريـر

² - الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866-1933): وهو من أوائل المصلحين المعتنقين لمذهب الإصلاح، والداعين إليه. تولى التدريس بالجزائر العاصمة في ديسمبر (1896م)، ثم بالجامع الجديد سنة (1900م)، كما اشتهر أستاذاً بارزا بالمدرسة الثعالبية حيث تخرج على يده جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة. له المام باللغة الفرنسية واللغة العبرية. درس التوراة والإنجيل وتأثر بمنهج محمد عبده، (الذي كان استقبله عند زيارته للجزائر سنة 1903)، إلى جانب كونه مقدم الطريقة التيجانية بالعاصمة. ومن بين مؤلفاته "رسالة اهتزاز الأطوار والربى من مسألة تحليل الربا" و"رسالة في التوحيد والرد على شبه المبطلين والملحدين" و"الكنز المدفون والسر المكنون". ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر)، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط. 2، 1980، ص: 178.

وعرجنا في إيابنا على محل السيد أحمد بن مراد المعد لبيع الكتب، فالتقينا بالشيخ محمد بن شنب¹ أحد المدرسين بالمدرسة الثعالبية، فأخذنا معه أطراف محاورة أطلعتنا على ماله من النباهة التامة، والتفقه في الأمور الحديثة، زيادة عما له من التفنن. ثم انصرفنا، وصحبنا أحد الفضلاء فذكر فذكر لفظ «مجلة»، فاستنبأنا عن معناه لغة، فسقنا إليه عبارة «القاموس»: مجلة - بالفتح -: الصحيفة فيها الحكمة، أو كل كتاب.

وفي اليوم الثاني من أيام إقامتنا، دعانا الشيخ عبد الحليم بن سماية إلى زورة محله في الساعة الخامسة مساء، وكان منزله في أقصى المدينة وأعلاها، فصعدنا إليه على السيارة الكهربائية، سارت بنا في خطها الحديدي نحو 20 دقيقة، ووقفت أمام ضريح الولي الكامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري المتوفي سنة 1208 هـ، فنزلنا هناك، ووجدنا الشيخ عبد الحليم في انتظارنا، فذهب بنا إلى داره، وارتقى بنا إلى طبقته العليا، وتنفست مدة المسامرة، فتواصلت حلقاتها نحو ست ساعات.

جرتنا المناسبة إلى الخوض في شؤون المدرسين، فقلنا: ليس المدرس حقيقة من يلقي المسائل على حسب ما تحويه الأوراق جيدها على رديها من غير أن يعرضها على محك النقد، ويزنها بمقياس النظر؛ فإن من المسائل ما لم تحط التأليف بتحقيقاتها واستخراج خباياها، فقال لي الشيخ: مثال ذلك من فن البيان: الاستخدام؛ فإن البيانين يعدونه من المحسنات المعنوية، ولا يبينون كيف حسنه إلى المعنى، ثم استرسل في بيان رجوعه إلى المعنى بكلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق، والولوع بالكشف عن أسرار المسائل، دون الاكتفاء بتصوراتها المجردة، ثم استطردها أن الاستخدام لا يختص بالضمير كما نص عليه الشهاب الخفاجي في «حواشي البيضاوي»، بل يكون بغيره؛ كالاستثناء؛ نحو: أبدأ حديثي ليس بالمنسوخ إلا في الدفاتر، والتميز نحو: (أخت الغزالة إشراقاً وملفتاً)، والعطف، وعليه خرج قوله تعالى: ((ولا جنبا إلا عابري سبيل)) [النساء: ٤٣]. فالمراد من الصلاة: معناها الشرعي، ووقع عطف ((ولا جنبا)) [النساء: ٤٣]. باعتبار معناها

¹ - الشيخ محمد بن أبي شنب (1869-1929م): هو باحث وعالم بالأدب، ألتحق بالتعليم من سنة 1888، إلى أن عين مدرسا بالمدرسة الثعالبية سنة 1901م، توفي في 05 فيفري 1929 ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالي. ينظر: خولة بديرينة: إسهامات النخبة الجزائرية الثقافية محمد بن أبي شنب أمودجا (1869-1929)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012، ص: 76.

المجازي، وهو المسجد. وأطلعني على صدر مقالة له فصيحة المباني، شريفة الموضوع، مفرغة في قالب الإنشاء العصري، ووعدنا بإرسالها عند استكمالها.

واجتمعنا بالعالم البارع **مُحمَّد بن مصطفى خوجة**¹ بـدكان السيد أحمد بن مراد، فمد علينا من من الملاحظة رواقاً، وفتح علينا رياض أنس كانت مغلقة أبوابها إغلاقاً، فنظم في سلك المسامرة فرائد، وأنشدنا من بنات أفكاره قلائد، ثم ختمنا بالتعريض على ما هو الأحسن في طرق التعليم، فأبدت ما نراه الطريقة المثلى في هذا الموضوع، خلاصته: هو أن الرتبة الابتدائية والرتبة الوسطى، ينبغي للمعلم الاقتصاد فيها على تقرير المسائل مجردة عن ذكر الخلافات، والأدلة الطويلة الذيل، حتى إذا اقتصر المتعلم على إحدى الرتبتين، أو عاقته دون الترقى لما بعدها عوائق، فقد نول ما فيه كفاية من غير أن يخفق مدة من حياته فيما لا فائدة فيه مثله.

أما المرتبة العليا التي لا يقصدها إلا من طمحت همته إلى أن يكون عالماً معلماً، فلا بد فيها من تتبع عروق المسائل، واستقصاء آثارها، وحث مطية الفكر في أنجادها وأغوارها، على شريطة أن لا يلتفت المعلم إلى المباحث المتعلقة بعبارات المصنفين؛ لأنها داعية إلى خلط الفنون بعضها ببعض من غير كبير فائدة، والاشتغال بتحرير أصل من أصول العلم وصناعتها أفيد للطالب وأجدى، ويستغنى في تقوية الملكة وتشحيد الذهن بالمباحث المتعلقة بنفس المسائل.

والتقينا بالفاضل البارع السيد يوسف بن سماية، فوقفنا معه موقف التسليم والوداع أمداً لم يتجاوز 20 دقيقة، وقد لاح لنا على خطاباته ملاطفة جميلة تشف عن جودة فكرة، وحلاوة في الأخلاق².

يمكن أن نقف في رحلة الشيخ الخضر إلى الجزائر على جملة من القيم: منها:

¹ - **مُحمَّد بن مصطفى خوجة (1865-1915م)**: المعروف بـ (مصطفى الكمال). قضى حياته العلمية بين المسجد وجريدة "المبشر" والتأليف. عين مدرسا بجامع سفير (سنة 1895م)، حيث أقرأ التفسير والفقه والتوحيد. ثم يعين سنة 1913م، وكيلاً على ضريح عبد الرحمن الثعالبي.

² - **مُحمَّد الخضر حسين**: الرحلات، ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، 11: 26.

2-2-2-3 من قيم الرحلة الجزائرية:

القيمة التاريخية:

حيث كان لأوضاع الجزائر - وقد قام الشيخ بزيارتها زمن الاحتلال الفرنسي - من أهم الدوافع التي حفزته للوقوف بقلمه ولسانه إلى جانب الشعب الجزائري، باعتباره شعبا مسلما وإلى العروبة ينتسب، وباعتبار الجزائر موطنه الأصلي وموطن أجداده. كما عكست الرحلة بعض مظاهر سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، التي قامت على طمس الهوية الجزائرية بشتى الطرق، حيث سعى جاهدا إلى تحويل كثير من المساجد إلى كنائس وثكنات عسكرية، وتأسيس المكتبات الاستعمارية مثل "المكتبة العمومية"، حيث كان الهدف من إنشائها: استقبال الوثائق والمخطوطات والكتب المطبوعة في تاريخ الجزائر، وتاريخ العلوم، ومساعدة المستوطنين الفرنسيين (وأغلبهم من الرعاع، والفلاحين، وسفلة الناس) على التعلم والثقف.

القيمة العلمية:

حيث استطاع الشيخ الخضر أن يحقق هدفه المنشود، ورغبته التي سعى إليها من زيارته لبلاده الجزائر، التي هي أصل عائلته بعد أن كان قد زارها من قبل، حيث تمكن من اطلاعه على حالتها العلمية، وأمر أخلاق أهلها الغالبة، وعاداتها العامة، فهناك شارك في المجالس العلمية التي كانت تؤدي، فأفاد، واستفاد من علمائها الأفاضل، كل هذا يدخل ضمن دوافعه الشخصية، مما يعكس لنا القيمة الذاتية التي تضمنته رحلته. ووقف الشيخ - أيضا - على نشاط علماء الجزائر، وأدبائها الأفاضل، ولم يغفل التعرض إلى مناهج التعليم وطرق التدريس، وصور التعليم في الجزائر.

القيمة الروحية:

حيث إن الرحلة تمت في شهر رمضان الكريم أين يحفل بالمراسيم الدينية، سواء في المساجد أو في الأحياء والمنازل. وسوف يستغل الشيخ هذا الشهر العظيم ليتحرك في هذه الأجواء التعبدية، حيث تكثر فيه الحلقات القرآنية والدروس الدينية. ولعل ما يلفت انتباهنا أن أهم القضايا التي طغت على الرحلة كانت تشتمل تفسير القرآن الكريم، وتدارس الحديث النبوي الشريف، واستعراض بعض قضايا الفقه والشرعية..

القيمة الثقافية:

حيث عكست تاريخ الجزائر الثقافي أثناء مرحلة الاستعمار الفرنسي، إذ عبر الشيخ الخضر عن إعجابه بالحركة الثقافية التي كانت سائدة آنذاك، وبما تميزت به الجزائر من مدارس، مثل: "المدرسة الثعالبية"، ومكتبات مثل: "المكتبة العمومية"، وصروح ثقافية تيسر على الباحث بحثه، وتشجعه على الخوض فيه¹.

¹ - ينظر: هاجر بن قطاس: الرحلة الجزائرية لمحمد الخضر حسين الجزائري، رسالة ماستر، جامعة عمار ثليجي - الأغواط، 2017-2018.

خاتمة

خاتمة البحث

لا يزال لتاريخ الأدب أهميته في حفظ تراث الأمم الثقافي والفني كونه الوسيلة المثلى لتوثيق تراث الأمم، وتاريخها الإنساني، ومعرفة خصوصيات كل أدب.

وإذا قدرّ لأدب المشاركة أن يؤرخ له وتدرس نصوصه الإبداعية، ويحظى بالنقد، فإنّ أدب المغاربة قد سار على هذه الوثيرة والقوة في التأريخ والنقد لكن حوادث التاريخ القديمة والحديثة، ومظاهر الصراع التاريخي بين سكان المغرب والعدو الخارجي، وبين المشاركة والمغاربة، وبين المغاربة في ما بينهم قد أودى بكثير من تراث العرب، حتى غدا أشبه بالمفقود.

ثم يكون تقصير المشاركة المحدثين، والمغاربة أنفسهم في المحافظة على البقية الباقية من هذا التراث العريق في الشمال الإفريقي، لأسباب موضوعية، وأخرى ذاتية تحكمها الخلفيات الفكرية.

ومن هنا، كانت مهمة التعريف بالأدب المغربي موكّلة إلى أبناء المغرب أنفسهم، وهو منطلق بحثنا، حيث حاولنا أن نستقرئ هذا التراث المغاربي من خلال عَلم من أعلام المغرب المحدثين، ونعني به الشيخ الإمام: محمد الخضر حسين الجزائري، العالم الزيتوني والأزهري.

وكان من أهداف البحث: محاولة فهم طبيعة الصراع القديم الذي كان بين المشاركة والمغاربة، وكيف انعكس على أدهما. وكيف يمكن الخروج من دائرة هذا الصراع الذي فرض على الأمتين.

لقد اقتضى البحث أن نشارك الأستاذ المشرف الدكتور أبو بكر مرزوق في تحمّسه لهذه الفكرة في مشروعه الكبير حول شخصية الشيخ محمد الخضر حسين، وأن نعمل جنبا إلى جنب، بعيدا عن عقدة الطالب الباحث، والأستاذ المشرف، حتى نتعرف على هذه الإشكالية عند الشيخ الخضر حسين الذي عايش الصراع المشرقي المغربي، في تجربته العلمية والعملية، حين انتقل إلى مصر، ويتولى أخطر مؤسسة دينية إسلامية.

وقد حاولنا من خلال تراثه الكبير المتنوع أن نجمع مادة موضوعنا وفكرتنا، لنرى كيف كتب الشيخ عن المشاركة والمغربية، القدماء منهم والمحدثين، تحت وطأة هذا الصراع المقتنع، وكيف فهم مسؤولية المغاربة في المحافظة على خصوصيتهم، والتعريف بها لدي الآخر، وكهدف ثانوي، حاولنا - مع الأستاذ المشرف - أن نصنع مدونة لتاريخ أدب الغرب الإسلامي تستجمع ممّا ألفه الشيخ الخضر، لنقرأ تاريخنا الأدبي المغربي بأقلام مغربية لا مشرقية، رداً للاعتبار، وبعيدا عن فكرة الجهوية أو العنصرية.

الملحق

ترجمة الشيخ الخضر

حياته*:

ولد الإمام مُحَمَّدُ خَضْرُ حَسِين - رحمه الله تعالى - في مدينة (نفطة)؛ من أعمال الجريد بجنوب القطر التونسي في 26 رَجَب سنة 1293 هـ / 16 أغسطس 1876 م. واسم الشيخ: (مُحَمَّدُ بَلْخَضْرُ بن الحسين)، ابن الشيخ الصوفي المشهور: (علي بن عمر الطولقي)، المتوفى في 1258 هـ / 1841 هـ، غير أنه، لما توجه إلى المشرق، حذف عماد كنيته "ابن" من اسمه، على الطريقة المشرقية، فغلب عليه (الخضر) عوضاً عن (لخضر).

وأصل عائلته من أولاد سيدي (علي بن عثمان الإدريسي الحسني)، المتوفى في القرن الثامن الهجري بمنطقة (الدوسن)، من قرى بلدة (طولقة)، نواحي مدينة (بسكرة)، وهي واحدة من واحات الجنوب الجزائري. أما أصل والدته (حليمة السعدية)، فمن أسرة جزائرية أيضاً، وهي كريمة الشيخ الصوفي (مصطفى بن عزوز)، مؤسس زاوية (نفطة)، وأبو جده لأمه، العالم الفاضل (مُحَمَّدُ بن عزوز) المتوفى في 1233 هـ / 1817 م، وخاله العلامة الفقيه (مُحَمَّدُ المكي بن عزوز) 1270 هـ / 1334 هـ / 1854 م / 1915 م)، وهو من كبار العلماء الصالحين، الذي كان موضع إجلال وتقدير من رجال الدولة العثمانية.

هاجرت عائلة الإمام (مُحَمَّدُ الخضر) إلى (نفطة) التونسية نظراً لما تعرضت له من اضطهاد من قبل الاستعمار الفرنسي آنذاك، كون العائلة الماجدة رفعت راية الجهاد عالية خفاقة، وكان من أبنائها بطل المقاومة الوطنية الفارس المغوار (الحسن بن عزوز) المتوفى في 1263 هـ / 1846 م، الذي ولاه الأمير (عبد القادر الجزائري) الخلافة على منطقة (الزيبان) ببسكرة الجزائرية.

ونشأ الإمام مُحَمَّدُ الخضر حسين، بين أحضان أسرة كريمة تعزز بسجل يحفل بالأعجام الزاخرة، الزاخرة، والبطولات النادرة، بما أنجبت من علماء أعلام، ودعاة أتقياء. وفي زاوية جده سيدي (مصطفى بن عزوز)، تلقى أدوات العلم الأولى من كتابة وقراءة، ليعمل على حفظ القرآن الكريم

* الترجمة منتزعة من موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ الخضر.

بأحكامه وقراءته المتواترة، على شيوخ الزاوية، وعمره آنذاك لم يتجاوز التاسعة ربيعاً، إلى جانب حفظه الكثير من المتون اللغوية على يد والدته السيدة العالمة (حليمة السعدية)، التي كان لها بالغ الأثر في مساره التعليمي. كما تلقى دروس اللغة والفقه والسير على يد عدد من العلماء الأجلاء، منهم: خاله (مُحمَّد المكي بن عزوز) الذي كان يرعاه ويهتم به، وكان المحفز الأول الذي أخذ بيده، وذلَّ له الصعاب، وسلك به طريق العلم. وفي سن مبكرة من حياته، بدأت علامات النباهة والتفوق وأمارات النبوغ والتميز تظهر عليه من خلال ولعه بالشعر الفصيح وقرضه، ومطالعة بدائع النثر، وأجادته في محاكاتها، وهو لا يزال صبياً

في سنة (1305 هـ / 1888م)، وهو ابن الثانية عشرة من عمره، انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة؛ ليلتحق بجامع الزيتونة، وكان هذا الصرح معلماً فكرياً وعلمياً عملاقاً، يناظر، في المغرب الكبير، صرح جامع الأزهر عند المشاركة، وبين أروقته العتيقة، ومن مرحلة إلى مرحلة، ثابر الفتى واجتهد في تحصيل مختلف العلوم، وتقيد شتى المعارف التي كانت تدرس؛ متلمذاً على يد كبار شيوخ الجامع ممن ذاع صيتهم، ونبغوا في العلوم الإسلامية، وتصدروا المشيخة عن جدارة ورسوخ قدم، فكان من شيوخه: الشيخ الجليل (عمر بن الشيخ)، الذي درس عليه التفسير، والشيخ (مُحمَّد النجار)، ثم الشيخ (سالم بوحاجب)، الذي كان يدرس صحيح البخاري، فكان من أبرز شيوخه.

وفي سنة (1316 هـ / 1898م)، تخرج الطالب من جامع الزيتونة، متحصلاً على شهادة التطوع، وهي شهادة تخول لصاحبها منصب التدريس والقضاء في المحاكم الشرعية، فراح يلقي دروسه في الجامع متطوعاً، لكنه بقي ملتزماً على حضور مجالس العلم والأدب المختلفة.

وفي سنة 1321 هـ / 1903م ارتحل إلى الجزائر، أين زار أمهات مدنها، معرجاً على زاوية جدّه (علي بن عمر) بطولقة، وزاوية سيدي (الهامل) بأبي سعادة، وفي السنة التي تليها عاد إليها، قاصداً العاصمة (الجزائر)، فزار المدرسة الثعالبية، وتعرف إلى علمائها، حيث توطدت علاقته بهم، كما ألقى دروساً في المساجد والمكتبات، وحضر بعض الدروس الدينية واللغوية، وشارك في بعض المجالس الأدبية.

وفي شهر محرم سنة 1322م/ إبريل 1904م، أنشأ مجلة "السعادة العظمى"، وهي أول مجلة عربية نصف شهرية تظهر في تونس، غير أنه لم يصدر منها سوى 21 عددا، وقد كان الشيخ يكتب أغلب مقالاتها. وفي سنة 1324م/ إبريل 1905م تولى قضاء مدينة (بنزرت) ومنطقتها، إلى جانب التدريس والخطابة بجامعها الكبير.. وفي سنة 1325 هـ 1907 م اشترك في تأسيس الجمعية الزيتونية.. ثم كلف بالخطابة في الخلدونية.

ولما قامت الحرب الطرابلسية في 5 شوال سنة 1329م/ 2 سبتمبر 1911م، بين إيطاليا والدولة العثمانية، وزحفت الجيوش الإيطالية فاحتلت طرابلس وبنغازي، وقف الشيخ بقلمه ولسانه إلى جانب الخلافة الإسلامية، دعيا الناس إلى مساندتها، وحين حاولت الحكومة احتواءه، ضمه إلى العمل في محكمة فرنسية رفض، ومعها بدأ الاستعمار الفرنسي سياسة بالتضييق عليه واتهامه بـ"روح العداة"؛ فلما استشعر الشيخ الخطر على حياته، غادر تونس إلى (الآستانة)، بحجة الرغبة في زيارة خاله السيد (محمد المكي بن عزوز)، الذي كان يعيش هناك.. وكانت رحلته إليها عبر مصر ودمشق، لكنه يعود سريعا إلى تونس عبر (نابولي) الإيطالية، وقد نشر أخبار رحلته هذه في كتابه الرحلات.

ثم ما لبث أن عين عضوا بإحدى لجان التاريخ التونسي، لكن الأجواء الخانقة التي كانت تعيشها كل من تونس والجزائر، وما ترزح تحته من ظلم واستبداد حملته إلى الهجرة ثانية، فقصده دمشق، وفي طريقه إليها مر بالقاهرة، فلبث فيها مدة وجيزة، تعرف في أثناءها على كوكبة من العلماء الأعلام المناضلين، ورواد النهضة الفكرية والتنويرية، منهم: (الطاهر الجزائري) و(محب الدين الخطيب) و(أحمد تيمور باشا)، حيث توطدت علاقته بهم بعد ذلك. وفي دمشق، عين مدرسا للغة العربية في المدرسة السلطانية سنة 1330هـ/ 1912م، وخلال تلك الفترة، سافر إلى (القسطنطينية)، فوصلها يوم إعلان حرب البلقان الروسية العثمانية - ذي القعدة سنة 1330هـ/ 1912م، فعاد إلى دمشق، ومنها سافر، بسكة حديد الحجاز، إلى (المدينة) المنورة سنة 1331هـ/ 1913م، ثم عاد إلى دمشق، ومنها يعاود السفر إلى الآستانة، فيلتقي وزير الحربية (أنور باشا)، حيث اختاره محررا عربيا بالوزارة، وفي أثناءها، أتاحت له فرصة ملازمة عوامل الفساد التي تفتك بمقومات الدولة العثمانية، ومعايشتها عن قرب.

وفي سنة 1333هـ / 1915م، أرسله (أنور باشا) إلى العاصمة الألمانية (برلين)، في مهمة رسمية، فمكث بها تسعة أشهر، اجتهد خلالها على تعلم اللغة الألمانية، ومن برلين عاد إلى الآستانة ليجد خاله قد توفي، لكنه يحن إلى دمشق، فيتخلى عن الوظيفة ويعد إليها. ومع وصوله دمشق، يعتقله السفاح (أحمد جمال باشا) الحاكم العام في سورية، في رمضان سنة 1334هـ يوليو سنة 1916م، فيلبث في السجن شهورا، حتى أنقذه منه تدخل وزير الحربية العثماني (أنور باشا)، فيغادر دمشق، بعد الإفراج عنه، إلى الآستانة، ليوفده (أنور باشا) ثانية إلى برلين سنة 1335هـ / 1917م، يلتقى خلالها بزعماء الحركات الإسلامية هناك، من مثل الشيخ (عبد العزيز الجاويش)، ثم عاد إلى الآستانة، ومنها رجع إلى دمشق، ليزاول التدريس في المدرسة السلطانية.

وفي سنة 1337هـ / 1918م، سافر من دمشق إلى الآستانة، وكانت الحرب العالمية الأولى في نهايتها، ومنها توجه إلى ألمانيا للمرة الثالثة، ف قضى بها سبعة أشهر، يعود بعدها إلى دمشق لتصادف عودته إقامة الحكم العربي، بقيادة (فيصل بن الحسين)، سنة 1337هـ / 1919م، لكن الاحتلال الفرنسي أحبط هذا الأمل العربي سنة 1337هـ / 1920م، ففكر الشيخ في العودة إلى تونس بعد أن احتلت دمشق، لكن المطاف ينتهي به في القاهرة؛ فألقى بها عصا ترحاله الذي استمر عشر سنوات.

استوطن القاهرة سنة 1339هـ 1921م، حيث أعانه الاستقرار على الإنتاج العلمي المنتظم، والنشاط الإصلاحي الدائم، فوضحت معالم نهجه في التجديد والإصلاح، والتفت من حوله حلقات الطلاب والمريدين، وأخذت تأثيرات علمه وإصلاحه تلفت إليه أنظار العلماء وطلاب الإصلاح.. وفي سنة 1340هـ سنة 1922م، يتجنس بالجنسية المصرية، ثم يتقدم إلى امتحان (العالمية) بالجامع الأزهر، فحصل على إجازتها بجدارة، وأصبح واحدا من علماء الأزهر. ومع هذه الامتيازات المدنية، يبدأ حياته الجديدة بعمله في دار الكتب المصرية، حيث يضطلع، بقسمها الأدبي بمهمة تحقيق كتب التراث.

غير أن التجنس بالمصرية، والانخراط في هيئة كبار العلماء الأزهريين، والاشتغال بالبحث والتحقيق، لم يكن ليعوق الشيخ (الخضر) عن النهوض بمسؤولياته وواجباته كعالم مسلم ومجاهد عربي، ورعاية حقوق وطنه الأصلي (الجزائر) وموطن مولده (تونس)، ومن هنا، ينهض الشيخ سنة

1342هـ/ 1924م إلى تأسيس (جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية) لتحريك جهود أبنائها وتفعيلها في خدمة قضية التحرر من نير الاستعمار، ضمت في عضويتها، من الجزائر: الفضيل الورتلاني، والبشير الإبراهيمي، ومن تونس: الحبيب بورقيبة.

وعندما أصدر الأزهر الشريف مجلته التي بدأت باسم (نور الإسلام) سنة 1349هـ/ 1930م، عهد إلى الشيخ الخضر رئاسة تحريرها، فنهض بهذه المهمة من عددها الأول (محرم سنة 1349هـ/ 1930م)، حتى عدد ربيع الآخر سنة 1352هـ/ 1933م)، وعندما تكون ((مجمع اللغة العربية)) بالقاهرة سنة 1351هـ/ 1932م، وقد قام على عشرين عضواً عاملاً، كان الشيخ الخضر واحد من أقدم هؤلاء الأعضاء، ومن أكثرهم إنتاجاً، ولم يقف نشاطه الجمعي عند المجمع القاهرة، فقد اختير عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق.

وعندما قامت الثورة المصرية في 23 يوليو 1952م، كان منصب شيخ الأزهر شاغراً، فوقع اختيار الثورة وحكومتها على الشيخ (الخضر) شيخاً للأزهر، وإماماً أكبر، وشيخاً للإسلام، ووجهاً مشرقاً لهذه الجامعة العريقة. فنهض بالأمانة ما وسعته طاقته.. وعندما أحس بضغوط تطلب منه تنفيذ ما لا يرضى صمم على الاستقالة في 2 جمادى الأولى سنة 1373هـ/ 7 يناير سنة 1954م. ومنذ ذلك التاريخ تفرغ للبحث و الكتابة والمحاضرة، حتى وفاه الأجل، فانتقل إلى جوار ربه مساء يوم الأحد 13 رجب سنة 1377هـ/ 3 فبراير 1958م، وقد شيعه العلماء والفضلاء والعارفون لفضله وعلمه ونضاله، ودفن بمقبرة (آل تيمور)، بناء على وصيته، بجانب صديق دربه العلامة (أحمد تيمور باشا).

آثاره*:

خلف فضيلة الإمام محمد الخضر حسين للمكتبة العربية والإسلامية تراثاً دينياً وفكرياً وعلمياً وأدبياً زاخراً، شهد على عقله المبدع، وفكره الراسخ المجدد. ومن مؤلفاته:

* مجموعة الآثار منتزعة من الموسوعة.

- رسائل الإصلاح: محاضرات ومقالات في المجال التربوي والأخلاقي،
- القياس في اللغة العربية: البحث الذي نال عليه المؤلف عضوية هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.
- الخيال في الشعر العربي: هو كتاب نال شهرة واسعة في الأوساط الفكرية والأدبية.
- الحرية في الإسلام : محاضرة ألقاها في نادي قدماء المدرسة الصادقية.
- بلاغة القرآن: بحوث ودرسات تتعلق بـ "نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" و"رأي في تفسير القرآن" و"المحكم والمتشابه في القرآن الكريم".
- الرحلات: دُون فيها رحلاته خارج الديار التونسية.
- مُحمد رسول الله وخاتم النبيين: مقالات حول السيرة النبوية العطرة.
- ديوان خواطر الحياة: وهو من الشعر الراقى الذي يسمو بالأخلاق الكريمة.
- السعادة العظمى: مجموعة مقالات نشرها المؤلف في أول مجلة السعادة العظمى بتونس
- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان: مباحث دينية في أصول الدين، وأصول الفقه، والأحكام العملية، والفتاوى.
- محاضرات أدبية: مجموعة من المحاضرات كان قد ألقى بعضها في محطة الإذاعة بالقاهرة، ونادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في العديد من المجالات الأدبية.
- تراجم الرجال: تراجم مجموعة من أعلام الإسلام النبلاء.
- أحاديث من رحاب الأزهر: أحاديث الإمام لما اعتلى مشيخة الأزهر الشريف، وقد نشرت في العديد من الصحف والمجلات.

- دراسات في الشريعة الإسلامية: مجموعة أخرى من المقالات نشرها في مجلة "لواء الإسلام"، التي كانت تصدر عن هيئة مشيخة الأزهر.
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي: فند فيه أغلاط الدكتور طه حسين حين صدر كتابه في الشعر الجاهلي.
- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم: فند فيه كتاب "الإسلام وأصول الحكم" للقاضي الشرعي والشيخ الأزهر: "علي عبد الرازق"، ودعواه الباطلة.
- الهداية الإسلامية: مقالات كان ينشرها في مجلة "الهداية الإسلامية"، التي كان يترأس تحريرها.
- تونس وجامع الزيتونة: كتاب يتطرق إلى الحركة الفكرية في جامع الزيتونة العريق، مع تراجم بعض الفقهاء والأعلام التونسيين.
- حياة اللغة العربية: يضم بحوث في مجالات اللغة والنحو، نشر بعضها في مجلة المجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- أسرار التنزيل: وهو تفسيره لبعض القرآن الكريم، نشره في مجلة "لواء الإسلام" التي كانت تصدر بالقاهرة، وكان رئيساً لتحريرها.
- الدعوة إلى الإصلاح: وهي مقالات في مجال الإصلاح والتنويري، طبعت في حياته.
- حياة ابن خلدون: كتاب من الحجم صغير يتطرق إلى جوانب هامة من حياة العلامة (عبد الرحمن ابن خلدون) وفكره.
- إلى جانب العديد من التحقيقات على هوامش الكتب، المؤلفات المتفرقة، والبحوث القيمة التي نشرت بين الصحف والمجالات العربية.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر المباشرة:

1. حسين (مُحمَّد الخضر حسين):

- تراجم الرجال، من موسوعة الأعمال الكاملة للإمام مُحمَّد الخضر حسين، جمع وضبط: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، 2010.
- حياة ابن خلدون، ومثل من فلسفته الاجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة (2012).
- الخيال في الشعر العربي، ضمن: الأعمال الكاملة للإمام، جمع وضبط: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النور، سوريا - لبنان - الكويت، 1431 هـ / 2010 م.
- نقض كتاب: "الإسلام وأصول الحكم" من موسوعة الأعمال الكاملة للإمام مُحمَّد الخضر حسين، جمع وضبط: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، 2010.
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).

المصادر غير المباشرة:

2. خطيب (لسان الدين بن الخطيب): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحمُّد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1973.
3. قرطبي (ابن عبد ربه القرطبي): جامع بيان العلم وفضله، تح: مسعد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

المراجع العربية:

4. بوطي (مُحمَّد سعيد رمضان البوطي): من الفكر والقلب (فصول من النقد في العلوم والاجتماع، والأدب)، دار الفقيه للنشر والتوزيع، دمشق، 1997.
5. جندي (أنور الجندي): محاكمة فكر طه حسين، دار النصر للطباعة الإسلامية، شبرا، مصر (د. ت).
6. حسن (مُحمَّد عبد الغني حسن): التَّراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط. 3، 1980.
7. حسين (طه حسين): في الشعر الجاهلي، الدار البيضاء، 2004.

8. حلوجي (داليا عبد الستار الحلوجي): كتب التّراجم في الثّراث العربي، زهراء الشّرق، مصر - القاهرة، ط.1، 2008.
9. رايس (إبراهيم بن حمّاد الرئيس): علم التّراجم أهميته وفائدته، أطروحة دكتوراه، جامعة الملك سعود الرياض، 1422/1423 هـ ..
10. شاكر (محمود مُحمّد شاكر): المتبني رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، دار المدني، جدة - السعودية (1987).
11. عثمان (محمّد حسن عثمان): منهج البحث التّاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط.8، 1843.
12. عروي (عبد الله العروي): مفهوم التّاريخ (الألفاظ والمذاهب)، الدّار البيضاء، بيروت - لبنان، ط.4، 2005.
13. فلاقة (محمد سيف الإسلام بوفلاقة): التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، للدكتور مُحمّد صالح الجابري (د.ت).
14. لحرش (نواره لحرش): الأدب المغاربي، جريدة النّصر الجزائرية، 26/12، ماي 2009.
15. كرو (أبو القاسم مُحمّد كرو): الأدب التونسي وصداه في الشرق قديما وحديثا، الموسوعة، 14: 127، عن مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، تونس، ع.1، 1988.
16. كنون (عبد الله كنون): التّبوغ المغربي في الأدب العربي (د.م.ط)، ط. 2، 1310 هـ / 1960م.
17. مرتاض (عبد الملك مرتاض): الجدل الثّقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة، لبنان - بيروت، ط.1، 1982م.
18. مرزوق (أبو بكر مرزوق / محمّد الطّاهر علاوي): المختارات الخضرية، شركة دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2014.
19. مرزوق (أبو بكر مرزوق): محاضرات "الخطاب الثّري في عصر الضعف"، معد لطلبة الماجستير، وفق البرنامج الوزاري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عمار ثليجي - الأغواط، 2019.

20. منور (أحمد منور): الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياه)، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط.1، 2007.
21. نجار (حسين فوزي النجار): التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، 1964.
22. نويهض (عادل نويهض): معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر)، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط. 2، 1980.
23. واد (حسين الواد): في تاريخ الأدب (مفاهيم ومناهج)، دار الفارس، عمان - الأردن، ط. 2، 1993.
24. وازن (عبد وازن): الإشكال المشرقي المغاربي بين النهضة والحداثة، الفيصل، شوهد في أوت، 2019.

الرسائل الجامعية:

25. بدرينة (خولة بدرينة): إسهامات النخبة الجزائرية الثقافية محمد بن أبي شنب أنموذجا (1869-1929)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012.
26. قطاس (هاجر بن قطاس): الرحلة الجزائرية لمحمد الخضر حسين الجزائري، رسالة ماستر، جامعة عمار ثليجي - الأغواط، 2017-2018.
27. يوسف (البشير يوسف): استراتيجية الحجاج عند محمد الخضر حسين الجزائري (من خلال كتابه: نقض كتاب في الشعر الجاهلي لطف حسين)، رسالة ماستر، جامعة عمار ثليجي، 2016-2017.

مواقع إلكترونية:

28. نواب (عواطف بنت محمد نواب): المدخل إلى علم التاريخ، العام الدراسي: 1433/1334 هـ . .، تاريخ الاطلاع عليها: 2019/02/19.
29. موسوعة (الموسوعة الحرة): علم التراجم، (ويكيبيديا)، الرابط:

- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

فهرس المحتويات

الصفحة	محتوى الرسالة
	أهداء
	كلمة شكر وعرفان
أ-د	مقدمة
	المدخل
	مدخل إلى تأريخ الأدب والترجمة الأدبية
06	1- التأريخ للأدب
06	1-1- مفهوم التأريخ
06	1-2- تأريخ الأدب (التعريف العام والخاص)
07	1-3- وظيفة التأريخ الأدبي
07	1-4- اتجاهات التأريخ الأدبي في التراث الأدبي
09	1-5- شخصية المؤرخ الأدبي
10	2- الترجمة للأعلام
10	2-1- علم التراجم
11	2-2- معيارية التراجم
12	2-3- طريقة الترجمة للأدباء
	الفصل الأول
	الشيخ الخضر (مؤرخا للأدب العربي المشرقي ومترجما لأعلامه)
15	المبحث الأول
	الشيخ الخضر مؤرخا للمشاركة
15	1- تمهيد
15	1-1- التأريخ للأدب الجاهلي
15	1-1-1- (من خلال الرد على كتاب طه حسين)
23	1-2- التأريخ للعصر الإسلامي

23	1-2-1- الشعر الإسلامي أرقى من الشعر الجاهلي
25	1-3- التاريخ لأدب عصر الضعف
25	1-3-1- الشعر المصري في عهد الدولة الأيوبية
31	المبحث الثاني
	الشيخ الخضر مترجماً للمشاركة
32	1- تمهيد:
33	2- أدب التراجم عند الشيخ الخضر حسين
33	3- منهج الشيخ الخضر في تراجمه
35	4- ترجمة الخضر حسين للشخصيات الأدبية
35	5- من تراجم الأدب الجاهلي
35	5-1- نموذج امرئ القيس (من خلال نقض كتاب في الشعر الجاهلي)
43	6- من تراجم الأدب الإسلامي
43	6-1- نموذج حسان بن ثابت (نظرة في شعر حسان بن ثابت)
	الفصل الثاني
	الخضر حسين مؤرخاً ومترجماً لأدب وأدباء المغرب
55	مدخل إلى أدب الغرب الإسلامي
55	1- الإشكالية المَشْغُوبِيَّة: (المشرقية / المغربية)
55	1-1- إشكالية المصطلح (الأدب المغاربي)
56	1-2- إشكالية الأدب المغاربي لدى المشاركة والمغربية
58	1-3- إشكالية لغة الكتابة
58	1-4- الإشكالية المشرقية المغربية بين النهضة والحداثة
	المبحث الأول
	الخضر حسين وتأريخ أدب الغرب الإسلامي
61	1- التأريخ للأدب الأندلسي والمغربي
62	1-1- علاقة الشيخ الخضر بتراث الغرب الإسلامي

63	1-2- علاقة الشيخ الخضر بالأدب التونسي
64	1-3- نموذج للتأريخ الأدبي للغرب الإسلامي عند الشيخ الخضر
64	1-3-1- التأريخ للأدب التونسي القديم
69	المبحث الثاني
	الخضر حسين وتراجم الغرب الإسلامي
70	1- تمهيد
71	2- نموذج الترجمة لأعلام الغرب الإسلامي عند الشيخ الخضر
71	2-1- تراجم من العصر القديم
71	2-1-1- من التراجم الأندلسية
73	2-1-2- من التراجم المغربية
81	2-2- تراجم من العصر الحديث
81	2-2-1- من التراجم التونسية
81	2-2-1-1- نظرة في أدب الشيخ محمود قبادو التونسي
87	2-2-2- من التراجم الجزائرية
87	2-2-2-1- شخصيات من خلال "الرحلة الجزائرية" للشيخ الخضر
87	2-2-2-1- نموذج من رحلة الخضر حسين الجزائرية
94	خاتمة
97	ملحق
105	قائمة المصادر والمراجع
	المحتوى
	الملخص

عنوان الرسالة

(التأريخ لأدب المغاربة والترجمة لأعلامه في تراث الشيخ محمد الخضر حسين)

إشراف: د/ أبو بكر مرزوق

إنجاز: الطالبة خديجة بخات

الملخص العربي

يحاول البحث المعنون طرح إشكالية الصراع الثقافي بين المغاربة والمشاركة، من خلال تحليل نماذج من التراث الكبير والمتنوع الذي أنتجه الشيخ الخضر، حول هذه الإشكالية، ومحاولة فهم طبيعة تعامله معها، والدور الذي قام به، بوصفه عالم دين، ورجل فكر وأدب لتجاوز هذا الإشكالية.

الكلمات المفتاحية: التاريخ الأدبي - الترجمة الأدبية - الصراع الثقافي المشرقي المغربي - محمد

الخضر حسين - طه حسين.

Résumé :

Titre :

(Histoire de la littérature marocaine et traduction de ses drapeaux dans l'héritage du cheikh Mohammed al-Khader Hussein)

Présente par : Khadija Bakhat **Encadre par :** Dr. Abu Bakr Marzouk

La recherche, intitulée "Le problème du conflit culturel entre l'Occident arabe et le L'orient arabe", explore des exemples du patrimoine grand et varié produit par Cheikh Al Khader sur ce problème et tente de comprendre la nature de son traitement et le rôle qu'il a joué en tant qu'érudit et homme de pensée et de littérature pour surmonter ce problème .

Mots-clés: Histoire littéraire - Traduction littéraire - Le conflit culturel entre les pays du Maghreb - Mohamed El Kheder Hussein - Taha Hussein.

Abstract :

Title:

(History of Moroccan literature and translation of its flags into the legacy of Sheikh Mohammed al-Khader Hussein)

Presented by: Khadija Bakhat **Supervised by:** Dr. Abu Bakr Marzouk

The research, entitled "The problem of cultural conflict between the Arab West and the Arab East", explores examples of the great and varied heritage produced by Sheikh Al Khader on this problem and tries to understand the nature of his treatment and the role he played as a scholar and man of thought and literature to overcome this problem.

Keywords: Literary History - Literary Translation - The Cultural Conflict between the Maghreb Countries - Mohamed El Kheder Hussein - Taha Hussein.